



الحب في شرق المتوسط...

بَغْدَادَةٌ...  
سَلَالِمُ الْقَرَّاصِ

الجزء الثاني من رواية علي السورّي

د.مكي مُحَمَّد

# الحب في شرق المتوسط...

بَغْدَادَةُ..  
سَلَالِمُ الْقُرَّاصِ

الجزء الثاني من رواية عليّ السوريّ

د. لَمَى مُحَمَّد



جميع حقوق النشر محفوظة للمؤلفة، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة، إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من المؤلفة.

إلى أعلامنا التي تتلاقى مع الله في صلواتنا..

هذا الكتاب هو الجزء الثاني من رواية عليّ السوريّ.. الحب بالأزرق..

جزء آخر لرواية لن تعجب (بكلّها) أحدًا.. جزء آخر حاربته اللحي والتيجان، ووقف ضده جبن المتثاقفين بشكل مباشر وغير مباشر...

إن كنت تنتظر قصة حب مكررة وحمراء، فلا تقرأها.

الشخصيات في الكتاب من نسج خيال الكاتبة.. فإن توقعت رواية تناقش الأشخاص لا القضايا.. فلا تشتريها..

الأحداثُ هنا تخضع لفنّ الأدب الواقعي الساحر.. لا هو رواية.. لا قصة ولا مقال، بل ما بينهما.. وكلنا نعيشه، فلا جديد.

أما إن كنت مصممًا على المغامرة.. ودخول ملكوت هذا الكتاب، فلتعلم مسبقًا أن:

"الأمل" هو فقط – ما سوف تحصل عليه.

شكرًا لمؤسسة الحوار المتمدن التي فتحت قلبها وصفحاتها  
لأجزاء من الرواية منذ عام ٢٠١١

١- الحقيقة: قُرْأَص..

ما زلت أخيط في سترات البجع.. لا أنا انتهيت.. ولا اللعنة  
زالت..

ومما يزيد ألم الغزل أن الخيطان مصنوعة من القراص..  
قراص عذابات الشباب.. صرخات الأمهات.. أصوات بكاء  
العاشقين والأطفال.. كل ما يمر على زمن العولمة مرور  
الكرام، فلا تلتفت إليه ضجة السخف.. التقليد والاستهلاك.

أغزلُ ستراتٍ من حقيقةٍ كاملة.. والحقيقة إن كملت.. آلمت  
جميع الأطراف، فكرها الجميع.. وحده الله يضمن لها النجاة،  
والمرور من جيل إلى جيل..  
كل أنصاف الحقائق تتكور هنا.. بغض النظر عن محاولة كل  
طرف أن يجلب لي صوفاً من مدينته فقط.. قطناً من حدوده  
فقط.. خيطاناً من حزن معارفه تحديداً.. وقماشاً من أطر  
معتقداته وحسب...

ما يجعل ستراتي سحرية هو أنها تتحدث بلسان الجميع.. كل  
طرف فيها نصف حقيقة يحكي قصة مكان نشأته.. كل طرف



يظنّ أنه على حق كامل.. فيهمل بقية الأطراف.. بينما السترة  
بكلّها حقيقة ونجاة...

كما في الأساطير.. يجب أن أصمت عن تضييع الوقت في  
التبريرات الجوفاء وأنا أغزل هذا الكتاب:  
التبريرات التي ملأت كلام المعارضين عندما وقفوا مع حق  
الموالين في الوطن وفي الحياة...  
التبريرات التي صبغت أقوال الموالين عندما قالوا بحق  
المعارضين في الوطن وفي الحياة...

لا يحقّ لي البكاء.. ولا الصراخ.. لا الضعف ولا الاستسلام...  
لوحدي هنا، منبوذة مع حقيقتي في زمن الحرب الأهلية  
والسياسة المغلفة بالدين.

\*\*\*\*\*

لم يبقَ من عليّ منذ سافر إلى سوريا إلا قصاصات أوراق  
محدثاته..

كتبتها بخط يديّ كيما أعيدها بكامل حواسي، لا بعينيّ فقط.. ثم  
نشرتها في كامل أرجاء المنزل...  
عاملتها كتمائم حظ، أو ربما كانت الشاهد الوحيد على حزني  
وشظايا قلبي المبعثر بين الشرق والغرب...

كلّ ما أعرفه أنّ السوريّ دخل الأراضي السوريّة من الشمال..  
كانت تلك رسالته الأخيرة...  
حاولت كثيرًا أن أسأل الناس عن الشمال السوري، أوضاعه،  
أمانه.. فسمعت خمسة أجوبة مختلفة..  
يا الله كيف لا نعلم شيئًا مما يحدث في زمن العولمة، التلفاز  
والإنترنت.. يا ربي كيف تخطئ مليارات أنصاف الحقائق هذه  
لتحاسب الناس؟

مرضي وباعتباره أحد أمراض المناعة الذاتية هاج وماج مع  
سوء وضعي النفسي..  
لم يكن حديث سوريا أو العراق وحرقة قلبي أشد وجعًا يومًا  
مما هو في هذه الأيام..  
حاول الكثيرون أن يعرفوا لماذا أهتم جدًّا بالعراق.. أنا دمشقيّة  
مسقط الرأس كما يقولون..

لهذا حكايات طويلة يا أصدقاء.. ليس أولها أنّي سكنت العراق  
لسنوات بحكم عمل أهلي فيه.. وليس آخرها تلك العائلة

العراقية التي ساعدتنا يوماً في الجزائر عندما عمل أبي هناك  
لمدة سنتين...  
أما أهمها فتلك النبوءة في كون العراق أصل بلاد العرب كلها..  
وبداية خارطة الشرق الأوسط...

لعليّ أيضاً في حكايات حب العراق كبير النصيب.. فهو حكي  
لي عن تفاصيله.. وحواديت أعياده ومآتمه...  
عمل هناك لعدة سنوات، ورافق حمزة.. وحمزة عراقي يعود  
نسب أمه إلى آل البيت.. عائلته ذات شأن كبير في العراق،  
ويقال إنه تواسط يوماً في العفو عن شخص مرتد عن الإسلام  
ونجح في تأمين تأشيرة دخول لذلك الشخص إلى السويد.  
عندما حكي عليّ لي تلك الحكاية العام الماضي غلبتني  
الدهشة:

-مرتد؟ كيف عرفوا بارتداده؟  
-أحد المستفيدين لفق التهمة له لأنه حاول محاربة فساده...  
-بالله تتكلم جد؟  
-أجل.. الموضة السائدة في العراق، والتي دعمتها الأحزاب  
الدينية هي تشريع التكفير.. والسماح للجهلة ممن لا يفكون  
الحرف بالتحكم بمصائر العقول التي تريد الإصلاح أو التغيير..  
حمزة عرف ذلك، وعرف أن الشاب مؤمن أكثر من كل من  
كفره.. وبحكم نفوذ نسبه استطاع المساعدة...  
-كم من الناس لا حمزة لهم؟ كيف يجروا أحدهم على التكلم  
بلسان الله فيكفر.. ويرمي أثواب الإيمان على من أراد...

-كل بلداننا تحتاج فصل الدين عن القانون.. فصل الجوامع عن الجامعات.. العراق إن تحرر.. إن قام.. فُتِحَتْ لبلادنا كلها الآفاق...

هكذا بقيت العراق في صلواتي مع سوريا وكل بقعة تعاني في هذا العالم في كل يوم..  
وخبرت التشابه بين الشعوب في القصص وحتى في الثورات، فتضاعف حزني..  
حزنت على أوطان فقيرة بينما أرضها منجم ثروات.. وشعوب أصيلة عريقة تتغرب كالغجر بحثاً عن حيوات كريمة..  
وصقلني الحزن حدّ شجاعةٍ دخلت أحلامي وملاّت إرادتي أملاً.

تعرف بأنّ عقلك وضميرك يسيراك لا أحقادك.. عندما تنصر المظلوم في منطقتك.. بلدك.. بلد شقيق.. بلد غريب.. بلد عدو.. أن تنصر المظلوم يعني نصرته في أي بقعة من الأرض... الإنسانية لا تتجزأ.. لا تعترف بحدود الجغرافيا.. ولا بأكاذيب التاريخ.

إن كان الله يراك، فما حاجتك إلى البشر؟!!

بغض النظر عن ذلك الذي استغل أعمالك، وتلك التي استغلت استمرار مساعداتك..

بغض النظر عمّن نعتك بما ليس فيك.. وعمّن حاربك بسلبياته  
هو...

وعن الذين ساعدتهم مرة، فأصبحت مساعدتك لهم حقهم على  
حسابك وحساب أولادك...

بغض النظر عمّن أساء لطيبتك..

وعمّن طعن ظهرك في غيبتك..

من يطعن ظهرك.. يغرّس سكينه في روح الله فيك...

الله يرى.. ويأخذ حق السماء وحقك...

الحمد لله على من جعلوا الله -بطعنهم لظهورنا- نصيرنا...

الحمد لله على كلّ ما حدث ليجعل عمالك خالصاً لوجهه...

اللهم أكثر طعنات الظهر لا القلب...

\*\*\*\*\*

وضعتُ كل ثيابي السوداء جانباً.. فتكوّر في الزاوية جبل من

الهدوء.. لا أرصن من اللون الأسود.. ولا أجمل منه...

أحبُّ جميل قشورنا من ستر وأقمشة، لكن لا أهتم بما يسمى

(الماركات) أو سخف اللباس المميز غير المكرر...

كيف يمكن لعاقل أن يهتم بحروف على سترته.. بينما يموت

الأطفال كل دقيقة لحاجتهم إلى الخبز.

كنت أنظف المكان، فيما أتأمل حال الكرة الأرضية.. ياه يا عليا  
ألا تياسين؟

فرزت الثياب حسب طقوسها...  
اليوم وفي الزمن الجديد الذي أستطيع شراء ما أردت فيه..  
يهمني قبل ما ألبس.. كيف صحتي؟  
وقبل عمر الحقيبة.. بساطة وأناقة مذهري...  
صار سؤالي المفضل:  
- هل سمحتُ للدهون أن تأكل شراييني.. قبل قياس خصري؟  
- هل سمحتُ لقلة النوم أن تحرث وجهي.. قبل نوع  
مستحضرات تجميلي؟

حاولت تقوية نفسي أكثر، فلجأت للعمل ومساعدة المرضى،  
ضاعفت عدد مشاهدات المرضى، وبدأت التدريس في الجامعة  
لطلاب الطب.

بدأت جلسات جديدة لطلابي من المقيمين أسميتها "تعليم  
المعالجة النفسية من خلال الأفلام".. وفيها أشرح لهم فن  
التحليل النفسي من خلال مناقشة أفلام كلاسيكية ذوات مغزى..  
أعلمهم كيف يقرؤون الاتصالات اللفظية ولغة الجسد لأبطال  
الفيلم.. كيف يشخصون اضطرابات الشخصية والأمراض  
النفسية من خلال مساعدة الممثلين في الفيلم المختار...

استجبت لطلبات الصداقة المعلقة عليها تحمل أخبارًا من بلاد الشام..

حوّلت (الفيسبوك) إلى دفتر مذكرات، فوضعت كل الأماكن التي أزورها من متاحف، حدائق، معالم ثقافية.. مطاعم وفعاليات فنية وأدبية يوميًا.. مع رأيي حول الأشياء... جعلت كل ما سبق تحت حكم الخصوصية المطلقة، فلا حاجة لبيوتنا أن تبقى مفتوحة الأبواب، حتى لو كانت افتراضية. جعل (الفيسبوك) دفتر مذكرات.. يتم بمشاركة الغالبية المطلقة من أحداثك وإحداثياتك مع نفسك فقط.. ليس لأن البعض جائع فيما أنت تأكل في أشهر مطعم فقط.. لكن أيضًا احترامًا لوقت الناس، ومحاولة عدم تضييعه في متابعة سخائف حياة تخصك فقط...

أمضيت عطفتي مع صديقاتي هنا.. بعد أن أخبرتهم بواجبهم في تحمل مزاجيتي وتقلبات الحزن في طقسي... هم فعلوا وأنا أحببتهم أكثر.. الحزن لا الفرحة يصنع الأصدقاء.

في ذهني تغيير هذه الشقة الصغيرة.. أريد أن أشتري بيتًا.. وفي الولايات المتحدة الأمريكية تشتري كل شيء بالتقسيط المريح.. لكنك تحتاج إلى ما يسمى (كريدت سكور) وهو باختصار علامة على إخلاصك في الدفع والتزامك بتسديد أقساطك قبلاً...

أما عن ذلك: فقد علمتني الطبقة المتوسطة التي نشأت فيها أن الإنسان يعطي القيمة لأشياءه من اسمه إلى سيارته.. وليس العكس.. لا أشنع من أن ينتظر أحدهم من حذائه أن يعطيه قيمة...

شقتي بالأجرة.. أدفع كل شهر مبلغًا ليس ببسيط لأقطنها.. هكذا فكرت وأنا أستعد لإعداد شاي المساء...  
شراء منزل صغير سيمنحني نوعًا من الدفء.. خاصة إن دهنته بيديّ وصنعت تفاصيله الصغيرة لتتماشى مع صغيرات أمنيّاتي...  
هذا سيخفف -ربما- من تفكيري في السورّي...

وضعت كوب شاي (الماتشا) الأخضر أمامي على المكتب، لهذا النوع من الشاي فوائد لا تعد ولا تحصى.. لا أعرف لماذا لا نزرعه في الشرق الأوسط؟  
مجددًا تفكرين في الشرق الأوسط يا عليا.. الله على إصرارك!

بدأت حياة السترة الجديدة.. مع رائحة (الماتشا)..  
وابتسمت وأنا أتذكر أنني السورّيّة العراقيّة.. موحدة العرب في قصصي.. لا مكان لي في بلاد العرب وأبحث عن بيت صغير في.. أميركا...





# ٢- مُتَمِّمٌ فِي بَغْدَاد

والهيئة:

حبك كالشمس في أرض ثلجية.. والأمل كبير جدًا بكونك لن  
ترحل أبدًا..

فالعنة تشتدُّ.. وتستدعي حضورك...

أنت اليوم كما أمس تمامًا:

دفعٌ وظلالٌ وترايلُ قيامة إنسان...

في زمنٍ صار الإيمانُ خطيئة!

قل لي بربك أليس "الله" أكبر من أيِّ كان؟!!

خبّر أطفالك عني..

علّمهم أن "الأرض" تدور..

كالزمن تمامًا..

والموت يدور..

كالأرض تمامًا..

ونحن كما نحن.. ننكر حتى الدوخة وننكر صوت الحب!

\*\*\*\*\*

سمعنا خطبة الجمعة من الشيخ "شخشاخ" الجاهل الأمي الذي  
استلم الجامع المقابل لمنزلنا.. فتحوّل المكان من دار عبادة إلى  
دار كراهية...

كراهية لجميع الناس غير القطعان التابعة له.. ودار دعارة  
تحوّل الجنس إلى غاية.. و(الجنة) إلى مرتع...

أصبح عندنا أركان التأسلم الخمسة:

-التأر.. والطائفية ثأر وتار...

-وَأد البنات.. تحت النقاب.. ومصادرة حق النساء في  
الأنسنة..

-عبادة الأصنام.. أصنام التقاليد، فجور الموروث..

-الجواري والعبيد..

-والإشراك بالله..

شاهد الحى والتيجان تنافس مكان الله في العقول المغسولة..

أي دين هذا الذي تشوّه بالسنّة ورؤوس أتباعه؟

التأسلم دينهم الجديد والمسلمون يدفعون الثمن...

ومن قال لك سنصمت؟

لم يكن لمكان ما حبُّ في قلبي كما لسيدة الأماكن "بغداد" ..

تلك العصيّة على الاستسلام.. المتمردة في وجه العربان

والغلمان..

العربان الذين اشتروا بيوتًا ونسبوا لله، سرقوا الفقراء  
وكسوا الحجارة.. اغتصبوا النساء بعقود زواج إجباري وزنى  
مقتع بمتعة ومسيار...

الغلمان الذين ورثوا النفط والغاز.. وبدلاً من أن يصبحوا أقلها  
ك دبيّ قبلة للعالم وفخراً لناطقي العربيّة.. أطلقوا اللحي تجعر  
في الشوارع..

أطلقوا أيدي المجرمين باسم الدين.. وأسهموا في انتشار  
الرعب العالمي من الإسلام.. وأي رعب أكبر من رأس خياله  
موبوء بالجنس!؟

-ما معنى موبوء بالجنس؟

-ماذا تتوقع ممن يفجر نفسه أملاً في جنة الحور العين.. ماذا  
تتوقع ممن يعتبر النساء متاعاً ومتعة.. سبايا وملك يمين...

-الجنس حاجة بشرية ضرورية، لا عار عليهم إن فكروا  
فيه...

-ترتقي الإنسانية بالجنس، ليصبح الإنسان متميزاً عن  
الحيوان، كما ترتقي بالعقل ليصبح الجنس وسيلة وليس  
غاية.. عندما يصبح الجنس غاية - حتى في العلاقات- تنتهي  
العلاقة بشكل غير قابل للأنسنة...

-ممكن.. علاقات تقتل المحبة تنتشر بكلام الكراهية الذي سمعناه اليوم من "الشخشاخ" .. يوجد شيوخ طيبون يرفعون الرأس.. هؤلاء الذين يقولون لك مثلاً أن الدين علم ومعاملة.. ولك فيهم مثل يحتذى به في الصدق ومساعدة الغير...  
-ربما هو سوء حظي.. لكني لم أقابل أحدهم بعد.. كل من قابلتهم سألوني عن شعري قبل علمي وعملي ومعاملتي للناس.. ما علينا.. أتمنى أن تكون على حق...

نقاشات عمّار الطويلة مع هبة.. لم تزده إلا حباً وخوفاً عليها.. وبينما هو كان يحاول جاهداً حمايتها، وجعلها تراه، كانت هي تحاول أن تنقذ العالم!  
ما زال لذكر عبير وقع جميل في نفسه، لكنه كان شرقياً كفاية ليُتيمَّ بحب من لا تراه..  
هو الذي عاش ليحيا والحياة في نظره: "أن أستطيع تأمين بيت وسيارة.. ونقود أحيأ بها كريماً.. والغاية النبلى هي النجاح" ..

صدمته أنثى ترى الحياة: "مساعدة للغير، رأي شجاع، إنقاذ للدين والمقصد الأنبل هو الخلود".

مشياً طويلاً في شوارع بغداد الحزينة.. ثم ودّعته:  
- يجب أن أشتري بعض الطعام وأذهب إلى البيت، أراك غداً..  
لم يقل لها كما فكر: خذيني معك.. بل قال: انتبهي على نفسك...

أدار ظهره قبل أن ترحل هي.. لطالما خاف من أنها ستدير  
ظهرها يوماً.. إلى الأبد.. ربما لذلك يرحل بمجرد تلميحها  
بالرحيل...

مشى طويلاً في شوارع بغداد.. مرّ بأشهر مطعم وبعربات  
الذرة المسلوقة.. بسيارات فارهة وبأطفال حفاة..  
مرّ بجوامع متكلّفة وبيوت بلا شبابيك.. بمنقبات لم يعرف إن  
كانوا ذكوراً أم حريمًا، لكن تأكد أنهم ليسوا رجالاً ولا نساء..  
مرّ بطفلة ممزقة الملابس تمسح الأحذية وفي عينيها رعب  
الدنيا كلّها.. ثم شاهد مراهقاً تقوده سيارة بنمرة حكومية..  
يصرخ في (وجع) شرطي المرور..

مرّ عمّار ببغداد الأمل المكسور.. المبلل بيول المسؤولين قبل  
مطر الله.. ولما لم يتحمل عقله مزيداً من الألم جلس على أحد  
المقاعد المكسورة يتأمل السماء.. العراق إلى ثورة.. أكاد أن  
أقسّم بهذا...  
- على الأقل ليلة كهذي بلا تفجيرات تشبه حلمنا في الأمان...

أما هبة.. فعادت إلى الغرفة مع المنتفعات التي تسميها منزلها  
لتجد على بابها رسالة.. لم تكن تشبه رسالات التهديد التي  
تصلها كل يوم.. فكرت: أفتحتها؟ ربما فيها "جمرة خبيثة"..  
وربما موت آخر.. "أفتحتها؟"

\*\*\*\*\*

الموت يطلّ برأسه من الأزقة الشاهدة، تتلاحق ذيوله في  
دوامات تخنق الأطفال والأحلام...  
-هؤلاء السفلة الذين أحرقوا البلد لم يكونوا من الخارج.. كانوا  
من أهل البلد.. وهذا ما يدعو للجنون.. أحاول كثيرًا وضع  
مبررات للناس، لكن ما الذي يبرر التطرف؟!  
لا شيء يبرر رؤية الدم في إطار طائفة!  
-الفقر أصبح سيد الموقف.. وما زال النهب جاريًا.. لا  
يستحون.. لا يستحون..  
كان الموت صديقًا جديدًا أهدانه كل صباح، أنظر في عينيه..  
أرجوه:  
-هل تقبل أيها الموت بقربان؟ هل صحيح ما سمعناه في  
الأساطير والحكايا عن ملوك وآلهة قبلت بقرايين؟  
إن كنت حقًا ملك الموت فما لك؟ اذهب خذ السلاطين.. تجار  
النفط والنساء..  
ما لك؟ لم تلاحق الطيبين؟  
عرفت عبير في لبنان وطنًا ثانيًا.. رغبًا عن أنف الطائفين  
والحاقدين..



تعرفت على كثير من الأصدقاء، لكن كان ل إيلا جميل الوقع في قلبها...

إيلا الصحفية اللبنانية التي تشبه بيروت بصدقها، جمالها وطيبة قلبها.. وجدت عبير تبكي على مدرج الجامعة بعد محاضرة عن (الربيع العربي)، وبعد حوار طويل عرضت عليها استئجار غرفة في منزلها بنصف ثمن القبو البارد الذي بالكاد تم إيجاره.. قبلت عبير دون تحفظات، فالأرواح تتلاقى أحياناً قبل أجسادها...

لم تجد عبير عملاً كممرضة.. وتعمل حالياً نادلة في أحد المطاعم...

ما زالت تدور على الجامعات والمراكز الثقافية لتسمع المحاضرات عن بلدها.. فيما ترى الأطفال الجياع في الشوارع يمسحون الأحذية، وشبابيك سيارات مساهمة بشكل أو بآخر في المحاضرات وفي استمرار المهزلة.

ما زالت مخلصاً للفقراء تراهم بجميع ألوانهم ومنابتهم، ليس فقط الفقراء الذين ينتمون لذات طائفتها بصدق جنسيّة...

المعارضون السوريون -في أغلبهم- أغلقوا عيونهم عن رؤية الظلم إن كان بيد من يحارب النظام، والجرائم التي قامت بها فصائل محسوبة على الثورة السوريّة اندثرت واختفت من مخطوطات حقوق الإنسان التي ادعاها سفلة المعارضة... ما زال الكتاب صديقها الصدوق، وما زالت فأرة كتب.

بعد إحدى المحاضرات الممولة، خرجت غاضبة.. لم تر من المكان، سوى ذكريات لصباح سوري هادئ يمتلئ برائحة الزعتر والقهوة.. وصوت فيروز تغني يا جبل البعيد.. على المقعد الحجري فتحت كتاباً لتولستوي.. وبدأت بالقراءة...

-أنت تقرأين كثيراً.. هل تكتبين؟

-لا أنا أقرأ وأفكر فقط..

-وأنا لم أتبّن موضة الكتابة التي أصبحت بيد الجميع في زمن الافتراض، بينما الندرة تقرأ.

من قلب الجبل البعيد لفيروز.. ابتسمت الروح في جسد الرجل أمامها.. شاب لبناني.. واسمه ديار.

أم ديار سوريّة الجذور...

تعرفت على أبيه اللبناني عَلم في العراق -عندما عملا في سفارات بلديهما هناك- بعدها انتقلت معه إلى لبنان.. أنجبت ديار قبل أن يهاجمها سرطان الثدي، قالت ل علم: تزوج.. هذا حقك...

وأجابها:

-هل عرفنتي حقيراً يا غالية؟ أنتِ عندي في كفة، والعالم في الأخرى...

لسخرية القدر مات أبو ديار باحتشاء عضلة قلبية، وبقيت أمه  
على قيد الحياة عشر سنوات بعده..  
عندما توفيت.. كان اسم علم آخر ما نطقت به.  
وبقي ديار وحيداً.. بين أهل أمه في سوريا.. وأهل والده في  
لبنان...

كان غريباً أن يحكي ديار هذه القصة لعبير في أول لقاء لهما.  
ابتسمت وقالت في نفسها: ما أطيبه!  
وهو رأى في عينيها سوريّة أمه.. وإخلاص أبيه.  
\*\*\*\*\*

أصبح (الفيسبوك) مكاناً كئيباً يعج بصور الأفراح والليالي  
الملاح.. يعج بالغيرة.. بالحدق الدفين.. بالطائفية.. بالسخف..  
بتمسيح الجوخ.. بالهرب الغبي من نميمة وغيبة.. باتصالات  
غير لفظية ملعونة..

والأنا تظهر وتتمظهر بين السطور وفي ردود الفعل غير  
الناضجة...

الغالبية احترفت التمثيل وسبحت مع تيار جرّ القطيع.. ومن  
استخدم عقله أو خرج عن القطيع دفع الثمن عرعره في بيته  
(الفيسبوكي)، لكنه في المقابل عاش حالة الصدق الذاتي  
النادرة!

الصدق الذي يدفعك لرؤية سلبياتك قبل إيجابياتك، قبول

إيجابيات الآخرين والتغاضي عن سلبياتهم...  
الصدق الذي يغلفه التواضع.. والمعرفة الحقة بأننا جميعًا طعام  
لدود الأرض...

هكذا لم يعد الفيسبوك يغريني لرؤية أنصاف الناس يناقشون  
أنصاف حياة.. ولا لمشاهدة أنصاف حقائق جديدة.. بل تحوّل  
عندي إلى وسيلة تخدم غاية واحدة: كسب عداوات  
الرجسيين.. وقلوب الطيبين.

كانت خطوة لمحاربة اكتئاب يتربّص بي مذ سافر علي.. فتحت  
باب بيتي (الفيسبوكي) لأول مرة منذ زمن وكتبت:

“الحقيقة تسكن أجساد الموتى وأجساد الموتى يضمها تراب  
المكان..  
علمتني الحياة أن أتواضع.. وكلما تواضعتُ أكثر.. اقتربتُ من  
الحقيقة أكثر...“.

أول تعليق وأول “أعجبني” شجعاني، لكن أول مشاركة  
أسعدتني.. “رأفت تميم” من هذا؟

شاب أردني.. صفحته تدل على كونه إنسانًا مثقفًا.. اقتباساته  
غالبها من كتاب عرب معارضين.. منهم الكثير في المهجر...

هناك غرابة اللون الواحد في بيته (الفيسبوكي).. غرابة لدرجة  
تحس أن البيت متكلف زيادة عن اللزوم.. كبيوت من يستأجر  
الأثاث، فلا يضع لمستته في البيت ولا هو يخبر الناس عن  
حقيقته.. تذكرت بعدها أن عليّ دفع إيجار شقتي.. فذهبت إلى  
موقع آخر.

اللبن الزبادي.. أو ما نسميه هنا (اليوغرت) للعشاء..  
حميتي مستمرة: كثير من الخضار، كثير من الفاكهة.. بيض،  
حليب و(يوغرت).. طعم السكر الذي نسيته ما عاد يغريني، بل  
على العكس أصبحت أحس بأنه ثقيل على معدتي كثقل  
الغربة..

ما زلت أكتب القصص والروايات ويبدو لي أن طريقي غير  
سالكة ما لم أتحزب، ما لم أصفق لهذا وتلك.. يا الله كيف أتعلم  
فنّ النفاق أو ما يسمى عن احتراف: الدبلوماسية..  
خانت دار النشر الأخيرة ثقتي، لم تعلن عن الكتاب كما يجب،  
ولا هي وزعته بعدل.. أخبرني ناشر آخر: -أنهم خافوا من  
نشر وتوزيع الكتاب كما يجب لتخطيه الخطوط الحمراء،  
وخافوا أن يخبروني بهذا، فأكشف المستور في الفضاء  
الافتراضي..

قلتُ له: سأؤكد من الموضوع بمعرفتي، وسأقاضيهم.. أعدك.

-لماذا لا تكتبين أشياء عادية؟ لماذا لا تفخرين بانتصاراتنا؟

- صعب جدًا أن نكتب عن الأشياء العادية فحياتنا حافلة  
بالمتفجرات والقضايا المصيرية...

المرّة الأولى التي أردت أن أكون فيها دبلوماسية.. قلت لأحد  
الأدباء الذين راسلوني رأيي باقتضاب شديد حول مقال كتبه  
يفخر بنسبه العربي.. أخبرته أنني مع أن نفخر بما يستحق  
الفخر، لكن أن نحاول تغيير الحاضر وتحسين المستقبل أيضًا..  
فرد بأنه يترك لي صحة الآراء...

حزنت عندها لكوننا لا نستطيع أن نقبل الصور الكاملة، بل  
دومًا نتطرف جدًا في تقييماتنا وردود أفعالنا.. نحن أبناء  
الطوفان، فكيف لنا أن نعلم عن المدّ والجزر؟  
غير الموضوع ليحدثني عن انتصارات حروبنا وفتوحاتنا.. هل  
تتخلون كيف انتهى اللقاء؟  
أجل تخليت عن (دبلوماسية) المتبرعمة.. وخفقت بجناحي  
في وجهه...

-الحروب لا تحمل كلمة "نصر" إلا في قاموس المنتفعين.. ما  
من عاقل يؤمن بنصر وقد خسرت أمهات أطفالهن.. خسر  
أطفال أقدامهم.. وذلت رجال الأرض من قبل الذكور.  
من يُشعل الحرب حتمًا يخسرها!  
ومن يشارك بها تعضه أو تقضم من وجه إنسانيته...

الغيرة والجهل ينخران "أنا" الضعفاء، فيتحولون إلى

أبواق: مع أو ضد.. كلا الوجهين "في الهم شرق"!  
يسوّقون للأشخاص لا للأفكار ولا للوطن.. أو يعتقدون ذم  
الأشخاص لا ذم الأفكار- لا فرق. في كلتا الحالتين: نحن  
نتكلم مع هشاشة الأنا لا مع صلابة العقل...  
طوبى لمن استخدم عقله في زمن الدين الجديد!

أحب (دبلوماسية) وإن استمرت صريحةً تعرقل شهرتي  
وظموحي في عالم الكتابة..

بالعودة إلى فضاء رأفت تميم.. بيننا صديق مشترك.. أحلام  
وما أدراك من أحلام!

يمنيّة سمراء تشبه حضارة اليمن في جمالها ورجاحة  
عقلها...

وأحلام سيدة من خطّط، عمل واستعدّ، فلم يدخل في قاموسها  
الحظ عن طريق الخطأ ولا بمحض الصدفة..  
باختصار لم تقترب الصدف من أحلام كما اقتربت منها الأمور  
المدبرة..

عندما قررت أن تعمل درست اللغة العربيّة في عام، وتعلمت  
الجديد في فن التعليم.. ثم أجرت مقابلات في كل المدارس  
الخاصة في المنطقة...

لم تجد عملاً، لأنّ ما يسميه الغرب علاقات وما يسميه الشرق

واسطة لم يكن موجودًا في حياتها.  
بدأت بإعطاء الدروس الخاصة في اللغة العربيّة.. وعاشت  
حياة مملة إلى أن قررت التغيير، والتغيير عند المجدين يستلزم  
أضعاف الجهد، فبدأت بتفسير القرآن.. في كل أسبوع تمسك  
آية وتفسرها بالاعتماد على أصول وقواعد اللغة العربيّة..  
بدأت بالآية القرآنية:

“ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ  
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ”.

وفسرتها:

لا يحق لأحد أن يدعو إلى دخول الإسلام، بل يجب عليك بعلمك  
وأخلاقك أن تكون القدوة والمثل لأي شخص على هذه الأرض،  
هكذا تعطي الانطباع الصحيح عن دينك، وهكذا يريد الناس  
معرفة دينك أكثر..

أما من يحطون من قدرك ويهينوك فناقشهم باختلاف دون  
خلاف..

الحكمة سيدة معرفة الدين.

استمرت أحلام تفعل هذا، إلى أن هدر المتطرفون دمها..  
وهاجمتها الحريم: أنت امرأة لا يحق لك الكلام في الدين..  
وشهر بها الذكور: غيبة تريد الشهرة...

عندها بدأت أحلام مشوار البحث عن وطن بين سفارات  
الغرب، في عقلها كان النبي إبراهيم يقول لها: فعلوها بي.. ما



أدراك ما يفعل الجهل وتكميم العقل..  
في قلبها كان المسيح يقول: صلبوني وسامحتهم..  
وفي ضميرها كان الرسول محمد: شكرًا يا أحلام لأنك تحميني  
من التشويه المكرر لصورتي وتحويلني إلى شخص آخر...

هاجرت أحلام، ودخلت أمريكا في 2014.. وكانت محظوظة،  
فالحياة في أمريكا تسمح بحرية التعبير إلى حدّ ما.

راسلتي للمرة لأولى وكان الموضوع أكبر من مجرد تعريف  
بالنفس.. كان مشروع صداقة..  
أغلقتُ باب قلبي من زمن ويئست من عودة العقول المغيبة..  
لكن لأحلامي مع أحلام عمر جديد...

-هل تعلمين أننا نأخذ من حسنات من يطعنون ظهرنا؟  
ابتسمت وقلت في نفسي: هنا روح أخرى تؤمن بأن الحياة  
بكلّها (كارما): "من يعمل مثقال ذرة خيراً يره.. ومن يعمل  
مثقال ذرة شراً يره" ..

ثم أجبتها:  
-لا تتخيلين كم أعلم هذا.. ما رأيك أن نشرب القهوة سوياً هذا  
المساء؟



٣- بيروت وإله الحرب

- "قررتُ أن أعود.. قبل أن أبدأ بالتنظير على الموالين  
والمعارضين.. ربما لو كنتُ مكانهم لقلتُ أكثر مما قالوا!"

الرمادي بامتياز.. لكن، من أنا لأوزع الإنسانية بلغة عربيّة في  
أكواب غربيّة؟

بدتُ "سوريا" بعيدةً ومشتعلةً.. كقطعة من كوكب آخر.. أعلن  
أنه لن يسجد لإله الحرب، فأخرجه هذا الأخير من ملكوته..  
ورمى به في أسخن وأجمل منطقة في العالم حيث تجتمع كل  
القوميات.. الطوائف والأديان.. وكلّ يعتقد بإله حرب مختلف..  
فيما يدور إله الحب يوزع أملاً في قصب قشبيّة على بيوت  
أرامل.. ثكالي.. عشاق بلا عيون.. وأطفال بلا أرجل...  
وبعدما يرحل يكتشف الجميع أن الأمل لا يسكن القش.. وأنه  
يلحق الحب فقط...

قررتُ أن أحمل صخرة حقيقتي وأصعد الماضي درجة..

درجة.. هكذا أعرف كيف بدأت الحرب وأنجم كيف ستحدد  
الإنسانية مستقبل الآلهة...”

أعدت الكتابة بلون أخضر.. ثم علقت الورقة على الثلجة..  
بقي على موعد العشاء مع جارتى الصديقة أمنية ربع ساعة،  
لكنها بدأت باستعجالي:

. سيبرد (الكسكس).. أيضاً صنعت لك المقروض

الجزائري..

. ما المقروض؟

. حلوى بالسמיד والتمر.. من تراثنا.. جدتي الجزائرية

الجميلة علمتني صنع الأطباق الجيدة والحلويات التي

تبني السعادة...

. ألا يكفيك أنني تجاهلت حميتي، تريدني كذلك أن أجرب

السكر بعد مقاطعته شهوراً؟

. الطعام الجيد يوقد نار الأمل ويعجن السعادة.. كيف

تعيشين بلا سكر.. يا لقوة قلبك!

أمنية النبيلة.. بصداقتها وصدقها لا تستحق فقط أن تفشل

حميتي مجدداً.. بل أن أفكر في وجهة نظرها في الطعام..

كطبيبة اعتدت سماع نصائح الأطباء حول الحمية، لكني لم

أسمع أيّاً منهم يتحدث عن دور السعادة في استقلاب الطعام..

هذا عذر ربما لأعود إلى عاداتي الغذائية السيئة، وربما هو

واقع حال يؤيد وجهة نظرها في عالم الروحانيات.

وُلِدَت هوارية جدة أمنية لوالدها في السعودية لأبوين  
جزائريين كانا يعملان هناك.. كبرت وترعرعت في السعودية،  
ثم تزوجت من جارهم-جدّ أمنية- السعودي النبيل..  
أنجبا أمينة -أم أمنية- التي تزوجت سعودياً نبيلاً آخر..  
وأنجبت أمنية وأمين.

في ليلة سوداء.. قضى أمين في حادث سيارة مروّع مع أمه ..  
ظلت أمنية ذات العشرة أعوام مع جدتها الجزائرية بعدها..  
تعلمت الطبخ الجزائري، وخبرت عادات الجزائري.. أصبح لذلك  
البلد حصة كبيرة من قلبها، رغم أنها لم تزره قط..  
وعندما تزوجت أمنية.. شاءت الصدفة أن يكون زوجها عقله  
عكس أبيها وجدها تماماً.. فعاشت معنى اليتيم الحقيقي بين  
يديّ ذلك المترمت الخائن...

عندما انتقلت معه للعمل في أمريكا.. بدأت تتعلم معنى أن تقول  
لا.. ومعاني أن يكون لكيانها احترامٌ تستحقه..  
وجودها في حياتي منحني دفاء العائلة.. عاملتني كأختها،  
فكانت السند والملاذ.. فيما هي تحاول بطيبة روح قديسة..  
وبدهاء امرأة مجروحة أن تُحصّل طلاقاً من ذكر أرعن...  
حفظت أسرارتي، كما تغاضت عن هفواتي.. فسرت طبييتي  
بالمعنى الإيجابي دوماً، فكيف لي ألا أهمل حميتي، وأتبنى  
وصفة مقروضها الجزائري السعيد!

\*\*\*\*\*

ولم نحتاج الزمن، لا يهمني كم من الوقت أمضيت في لبنان..  
مرّ عليّ عمرٌ آخر..

الناس هنا في معظمهم طيبون.. لكن السفلة: جاهلون..  
حاقدون.. تملأ صفحات وجههم الكراهية وتشع نظراتهم  
بالبخل والخسة..

كلّ ما سمعته هنا عن ناس ضربوا أطفالاً سوريين، استغلوا  
شابات فقيرات.. هو صحيح..

لكن الجانب الأكبر مضيء.. الغالبية طيبة، ساعدت وتساعد  
دون أن تنتظر مقابلاً.. الغالبية لم تنسَ وجع الحرب الأهلية  
اللبنانية.. ولا أرزة الكرم الخضراء التي ترمز لدرّة الشرق  
لبنان.

-متى ستعودين إلى سوريا يا عبير؟

-لا أعرف.. أخاف!

-تخافين؟ ممن؟

-من جميع الأطراف.. في سوريا يختلف الجميع حول التسميات  
فيما النتيجة واحدة...

ما زلتِ تؤيدن نظرية الطرف الثالث الذي قتل المتظاهرين  
في سوريا؟

-ربما يا إيلا.. وصلت مرحلة التشكيك في كل شيء.. لا أعرف حقيقة سوى أن الجميع-دون استثناء- شرب من كأس الدلّ والموت.. ما رأيك أنتِ؟

-رأيي بسيط وساذج.. الطرف الثالث في أي علاقة.. على تواصل وثيق مع أحد طرفي العلاقة.. ويدعمه أحد الطرفين الأصليين.. هذا منطق.

يحدث هذا في:

الخيانات الزوجية..

علاقة رئيس ومروّوس في العمل..

وفي قمع الثورات من قبل الأنظمة باستخدام طرف ثالث.

- وماذا إن كان هناك مستفيد من استمرار الحرب بين الطرفين وهو من يستخدم طرفاً ثالثاً؟

- في هذه الحالة يجب على الطرف صاحب السلطة أن ينسحب اعترافاً منه بالتقصير والسماح بفكرة الطرف الثالث أولاً.. وحقناً للدماء ولقطع الطريق على المستفيدين ثانياً.. هذا ما يسميه التاريخ: حنكة سياسة.. أو شرف موقف..

ماذا تسمي ما حدث في سوريا؟



-البعض يسميها ثورة، البعض يدعوها أزمة.. حرباً أهلية..  
حرباً إقليمية.. حرباً ضد الإرهاب.. رغبة في الانقلاب.. حرب  
طوائف.. حرب السعودية وإيران.. حرب أميركا وروسيا..  
النتيجة واحدة: بلد تدمر بمساهمة الجميع دون استثناء أحد...

ماذا تسميها أنت؟

-انظري يا إيلا.. أنا أرى ما حدث كان كل ذلك.. كل حرف..  
(قشة لفة):

--طرف أراد ثورة: أراد أن يقف على طابور الخبز في الصباح  
مع الفقير ومحدث النعمة.. المسؤول والمعتقل السياسي..  
الطيب والمرتشي.. الكاتب والمحلل السياسي.. المثقف  
والمتزلف.. الغانية والشيخ.. المرأة والحرمة.. الرجل  
والذكر..

هذا الطرف فيه أطراف كثيرة أيضاً.. فيه من أراد كل ما سبق  
أساساً ليخدم ماضيه.. لأنه حاقد.. فيه من أراد بشكل رئيس أن  
يخدم حاضره لأنه هامشي.. فيه من أراد أن يخدم مستقبل  
أحفادنا لأنه صاحب رسالة...

--أطراف كثيرة أرادت أن يكون ل سوريا جارة إسرائيل سقف  
تطور لا يمكن أن تتخطاه. ومتى وصلته أعادها الخونة إلى  
الصف...

--ما من علم لإسرائيل رُفِعَ في تلك البلاد، بل دعم لحزب الله

عدو إسرائيل الأول...

--لدى دول النفط والغاز ودول الغرب كمية من الإرهابيين  
يجب أن تتصرف بشكل ما.. افتحوا لهم باب الجهاد في سوريا،  
فنتخلص منهم..

--بلد من الموزاييك.. تريدونها سنية.. تريدونها شيعية..  
ادفعوا للسلاح والفتنة..

--حرب الدول الكبرى في هذا القرن أدهى من أن تحدث على  
أراضيها.. سوريا مكان للحرب العالمية الثالثة..

--لخصوا الوباء في الأشخاص.. فالشعب معتاد على عبادة  
الأصنام.. وعلى تكسيرها أيضاً...

--فلندفع ثمن عرق الفقراء في دول العرب بأكملها.. واجعلوها  
عبرة...

--السلاح يكاد يفسد.. ملايين السفلة من أغنياء العربان

ستتفق إن لم يتفق الغربان على الخراب...

--دولة خلافة إسلامية بحكم العرعة والعرفة...

--لا لحكم الأقليات التي تسمح لك بعبادة من تشاء...

--صم وصل بالقباق، أفضل من أن تسير وتهتف بالصباط.

يا إيلا الموضوع أعقد مما أراده طرف بذاته.. أو مما يراه

شخص طيب أو دنيء.. الموضوع حتى يستمر لسنوات..

يحتاج حطباً من قلب البلد.. وشرارات إشعال من الخارج.. وما

أكثر من تفنن في تصدير الشرارات...

قلت لي أنك قرأت أساطير صراع الآلهة عند الإغريق..

شاهديها الآن.. بثًا حيًا ومباشرًا...  
ما تغير هو اقتناعنا بآله واحد.. وسمينا من يتنازعون على  
الكراسي ملوكًا..

صراع ملوك الرمال.. مع ملوك الآثار.. ملوك النفط.. مع ملوك  
الطوائف.. ملوك الجنس.. مع ملوك تجارة الأعضاء!  
نحن أبناء هذي الصراعات، نحاول أن تنجو بيوم هادئ، أو  
بحلم ما.. فنغادر الأوطان.. الطيبون مثلك يحتضنوننا  
والآمناء...

تجمعت الدموع في عيني إيلاء.. هذه اللبناية أرقّ بكثير من  
قباحة الواقع.

-هي مهزلة.. اسمها مهزلة يا صديقتي.. البيت بيتك يا عبير..  
ولا أتخيل حياتي من دونك لهذا أسأل...

- . دعينا من هذا كله.. من سيغسل الأطباق اليوم؟
- . أنت.. دوري كان البارحة...
- . لا أستطيع.. يجب أن ألبس وأخرج لمقابلة ديار..
- . تمزحين!
- . لا.. لماذا؟
- . ظننتك تركته...
- . ليس بعد...
- . يا لئيمة!
- . لا والله.. بل لا أريده أن يقامر بحياته مع واحدة مثلي..

. رجعنا إلى قلة العقل.. طيب سأغسل الأطباق اليوم،  
وتغسلينها ليومين متتاليين.. وتحكين لي عن ديار أيضاً

...  
. اتفقنا إيلا، يا غزالة...  
. بلد واحد، يا قلب...  
\*\*\*\*\*

ما زالت عادة زيارة صفحات المشاركات الأولى لمنشوراتي  
ترافقتي.. أتسلى ربما، وربما لأن علي كان أول من يشارك  
قصصي..  
الحنين غلاب والبشر يبدعون في تهدئة قلق الطفل داخلهم...

المشاركة الأولى لمنشوري (الفيسبوكي) اليوم كانت من غيم..  
غيم صديق قديم ولد في المغرب لأب مغربي وأم فرنسية..  
كان معي في المدرسة.. صورته الشخصية في (الفيسبوك)  
توحي بالتواضع.. أسمر البشرة، عيناه سوداوان.. وكان  
مورثات الأمازيغ أبت إلا أن تتصدر عنوان الجمال..  
بشرته نضرة تُحدِّثُ عن كثير من شرب الماء وأكل الخضار..

أذكر آخر مرة التقيته شاهدت كتفين عريضتين عليهما ابتسامة  
وادعة.. قال لي أنه أنهى دراسة طب الأسنان وسيختص  
بتقويم الأسنان:

-أسنانك بكربتها تمنحك الجاذبية.. لا تستشيريني..

قال أيضاً أن الاكتئاب نحر كثيراً من أحلامه، حتى قرر هو  
التصدي لذلك بالرياضة:  
-ملاكم بارز.. لا ألكم بشرًا، بل كلسًا مكتوب عليه (ديبرشن)..  
بالحرف!

غيم كان حلمًا بالمطر لفتيات كثر من زميلاتي.. لكنه -على حد  
علمي- لم يكن في علاقة عاطفية قط، سرت الشائعات حول  
حبه لامرأة تكبره بعشر سنوات.. وشائعات أخرى حول موت  
حبيبته في زلزال في المغرب.. وحتى حول ميوله الجنسية..  
لكن غيم كان أكبر من الشائعات، فلا هي حرقت تحصيله  
العلمي، ولا هو استسلم وردّ على السنة ومعاليق...

قلت له يومًا: الطبيب النفسي أفضل صديق لطبيب الأسنان..  
كيف؟

-فيما أنت تريد من مريضك أن يصمت حتى تتقن عملك..  
وتتحدث أنت كي يمر الوقت، وتدعم العلاقة بين الطبيب  
والمريض.. يحدث العكس معنا.. نحن نصمت أغلب الوقت،  
والمريض يتكلم.. هكذا ندعم العلاقة العلاجية..  
ضحك غيم: -تقصدان طبيب الأسنان ثرثار..  
-لا أقصد أننا نكمل بعضنا.. ونصلح أصدقاء...  
-تشرفني صداقتك يا عليا...

المهم شارك هذا الغيم منشوري مع جملة: “الله عليك يا عليا.. ما زلت على مبادئك.. (شابوه) ...”  
الكلمة الطيبة على بساطتها تساعد في ترتيب دواخلنا.. مع كل فشلي.. ضعفي.. ومرضي.. منحنتي جملة غيم أملاً اليوم في أنني لم أتغير للأسوأ كما جعلني الحزن أعتقد، وزاد الأمل أملاً عندما قامت أحلام بالتعليق:

بدأت بآية من القرآن: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا  
وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ).

شرحتها، ثم أضافت:  
ربما لم يتخيل البعض أنه كان يا ما كان عبدة أصنام..  
هذا ما عناه القرآن..  
اخرج عن القطيع وسترى كيف يُهدرُ دمك في بلاد تطعن الله  
وتمجدُ الغلمان...

ثم أرسلت لي رسالة عبر البريد الخاص:  
-عليا.. أنا بحاجة إلى عقل وقلب يسمعي اليوم، تقبلين  
دعوتي؟

في أمسية أمريكية هادئة.. وبعد يوم آخر يعمل فيه الناس من السادسة إلى السادسة.. أحلام وأنا نشرب القهوة في واحد من محلات (ستاربكس) الأمريكية للقهوة...  
فيما تنتظر دورك يطلّ شعار ستاربكس: الحوريّة ذات الذيلين، العلاقة بين القهوة والإبحار حميمة لأن العلاقة بين القهوة والغربة حميمة...

ستاربكس هي شركة مقاهي أمريكية، بدأت في ولاية واشنطن في سبعينيات القرن الماضي على يد ثلاثة شركاء (مدرس لغة إنجليزية، كاتب، ومدرس تاريخ)..  
واسم (ستاربكس) جاء من شخصية (ستاربك) الذي كان يحب القهوة كثيرًا في رواية (موبي ديك) للكاتب الأمريكي هرمان ملفيل...

الرواية التي دارت أحداثها حول معضلة البقاء والسفر.. وبينما يصارع الإنسان حوتًا في الرواية.. يصارع الكثير من (الحيثان) في الواقع...

بالمحصلة: ستاربكس: شاهد آخر على الحلم الأمريكي، وقدرته على النجاح، هي تخبرك عن سر الحياة الكامن في: الاستمرار: الاستمرار بعد الفشل والخيبات..  
التجاهل: تجاهل العداوة.. تجاهل الغيرة وسعي الناس لمصالحهم الشخصية...  
الاستقلال: ماديًا إن قدرت ومعنويًا وهو أضعف الإيمان...

بعد أن استقلت أحلام ماديًا.. تغيرت قدرتها على الدفاع عن حقوقها.. أرسلت دعوة زيارة لأختها الصغرى في اليمن.. من حسن حظهما تمت الموافقة على الطلب، وأحضرتها إلى أميركا...

-أحاول أن أحميها من بطش الذكور في العائلة.. قالت لي أنهم يحاولون تزويجها غصبًا.. أولاد عمي الذكور لا الرجال... ماذا ستفعلين؟

-سأحاول أن أحصل لها على طلب لجوء...  
-لماذا نفرّ من تلك البلدان.. يسأل بعض (الحكماء)...  
-وأيّ سؤال يا عليا.. أي سؤال؟





٤- القاهرة وإبريق الحلوى

طيبٌ..  
يا مغرورَ الصُّدفِ الحلوِ..

أنا حواءِ ضلعِكَ..  
طحنتُ الذكرياتِ نجومًا  
(خمستهنَّ)  
نثرتهنَّ  
ملاأتُ بهنَّ سماءَ قلبِكَ..

طيبٌ..  
افخرُ بانتصاراتِ عشقِكَ..  
لكنْ تذكّر:

كم مظلمٌ أنتَ عندَ كسوفِ شمسيّ..

كتبْتُ هذه الجمل يوماً لمن ظننته حباً.. كنت صغيرة في العمر،  
لكن أجنحة أحلامي كانت أكبر من الشمس...  
وعندما تركني ذلك الحب المفترض.. تخيلت أن الحياة نقصت  
قمرًا..

تعلمت بعدها أن الحب الحقيقي لا يترك أبطاله.. وأن الأعمار  
مواليد كل صباح طالما أنك أنتِ الشمس...  
\*\*\*\*\*

بعد أن تمت الغيبة والنميمة.. كيف لذلك (الصديق) أن يدعوك  
في بيته مع من طعن بك أمامهم.. كيف لذلك المنافق أن يضع  
صورتك معه في زمن جميل؟  
-نكشف الناس من صمتهم ومما لا يفعلونه.. أكثر مما يقولونه  
ويعملونه...  
-لماذا أنت متوترة يا سنية؟  
-تذكرين إبريق الحلوى؟  
-أجل...  
-أريد مثله..  
-ما المغزى...؟  
-أريد من يقول لي: لا يهمني إن كنت سمينية أم نحيلة.. أريدك  
سعيدة...  
\*\*\*\*\*

انتهت مكالمتي الأسبوعية مع سنية.. وما زال إبريق الحلوى  
في مكانه منذ أعوام...

في شقتي المستأجرة كثير من الأشياء ذوات المعنى.. سيكون  
نقلها ليس سهلاً إن اشتريت بيتاً...  
لست من الناس الذين يدخلون إلى بيوتهم أشياء للزينة، بل  
أشياء للذكرى.. أشياء على بساطتها لها حكايات تجلب الحب  
للمكان.. أو تستحضر روح عاطفة و عطر رحلة!

لإبريق الحلوى في شقتي حكاية لا تشبه الحكايا:  
اشتراه غدي لحبيبته سيرين التي كانت حورية ماء...  
الإبريق بلون ذهبي.. يشفّ عمّا فيه.. كان ليكون إبريقاً لشاي  
(الماتشا) الأخضر كما أراده غدي- لكن سيرين المصابة  
بمرض نادر في البنكرياس يحتم عليها أكل الحلويات، جعلت  
منه ترياقاً لأعراضها وملأته بالسكاكر والحلويات.. قال لها  
غدي: لا يهمني إن كنت سمينة أم نحيلة.. أريدك سعيدة!  
شفيت سيرين بعد ذلك..  
من يومها والإبريق للحلوى، والحكاية مع سيرينها للذكرى...

هذه ليست كل الحكاية، بل نصفها الذي حكته لي نجمة  
الخمسينية الجميلة، التي جلست تبيع (الأنثيكا) في ميدان  
التحرير.. قالت لي: خذيه بسرعة: "ثمانين جنيه.. حتقسطيهم  
يعني؟"

رأيت سحر مصر ينعكس على مرآة الإبريق الذهبية:  
أول عز وأول حضارة.. أول نصر وأول عمارة.. أول تجارة  
وأول طبية..  
مصر النيل والأهرامات.. البحار والعتبات المقدسة.. قبور  
الأولياء والفراعنة.. جمال آسيا وجاذبية أفريقيا.. روح  
الإسكندر الأكبر وقلب كليوباترا..  
مصر أحمد شوقي ونجيب محفوظ.. أم كلثوم وعبد الحليم..  
أول حدوتة وأول سيناريو وحوار.  
لعب الإبريق في مخيلتي وأراني مصر، فاشتريته...  
"سنيّة" وقتها قالت لي أني "عبيطة" .. : "لا يساوي أكثر  
من عشرين.. المهم أعجبتك أسطورتها"..  
-إن كانت الحكاية أسطورة.. فنجمة تلك أفضل مني في  
تحريض المخيلات.. ثم اشتريته لأنه من مصر، هل تعرفين ما  
تعني مصر للعرب؟

ضحكت سنيّة: أول أفضل الانقلابات...

-لا عزيزتي.. أول أمل.. إن صارت مصر بخير، فالكل بخير..  
هي ليست أم الدنيا.. هي أم الأمل...

- نرى سوريا هكذا والعراق أيضاً.. كل الأخوة في الشقاء  
أشقاء...

-سنية.. أنا أعلم أن ما يحدث من غلاء.. واستعلاء من قبل  
المسؤولين وحرامية خبز الفقراء كثير.. لكن هذا إلى زوال..  
هل شاهدت أمل الشباب المصري أيام الثورة؟ كانت مصر وما  
زالت ترفض الأصنام...

-لا يا عليا.. الوضع أسوأ مما تتوقعين.. الشعب مقسوم بين  
ثلاثة أطراف:

قسم مع النظام الحالي.. قسم مع الإخوان.. قسم مع النظام  
القديم.. قسم ضد الجميع وقسم مع الجميع...

-تقصدين خمسة أقسام..

- لا ثلاثة.. لأنني لا أؤمن بتطيف القسَمين الأخيرين.. في  
القسَمين الأخيرين يكمن أمل صغير بأن حكاية إبريق الحلوى  
حقيقة.. وأنا لا أريد قتل هذا الأمل...  
لا يهمني بكونها معارضة أم موالية أريدها صديقة!

مشيت في القاهرة وسنية.. كانت هي مصر في نظري: بهية،  
قوية، مصممة.. يسكنها الطموح والعزم.. شعرها الأسود  
المضفور حكى لي حكاية الأطياف الثلاثة، فيما أبت غرتها  
الطفولية إلا أن تخبرني عن الأمل.  
في مصر للأكل حكاية.. للهواء حكاية.. للشرب حكاية..  
وللجنس حكاية.. في بلد لم يعرف العلماء حتى اليوم كيف  
تشمخ أهراماتها، تُصاغ الحكايا كل ثانية...

هكذا جلس إبريق الحلوى في شقتي الأمريكية، ليذكرني كل يوم برحلاتي إلى مصر، يطمئنني عن علي، وعلى أن الحب يصنع المعجزات.

اليوم عاينت خمسة بيوت صغيرة.. لم يعجبني أيٌّ منها..  
شروط البيت عندي كثيرة.. فأنا أريده وطنًا...

لذلك يجب أن يكون: مشمسًا.. بسقف عال، مطبخ كبير لأن الطبخ هواية لا يتقنها سوى من كان رائدًا في تصديق قصص الواقع.. ولأنّ مشاركة الطعام مع الأحبة فنّ إنساني.. أريد فيه شبابيك كبيرة لأنّ الأمل يحب الشمس...  
البيوت المعروضة في السوق للبيع التي أراها غالبًا تحكّمها البهجة غير المتسقة والخالية من الذوق...  
سمسار العقارات الذي يساعدي رجل كسول.. لا يجيد سوى قول:

سعره مناسب.. وأظنّ أن شروطك صعبة..

دلّتني أمنية على تطبيق على (الآيفون) للبحث عن المنازل.. يعطيك كل المعلومات التي تحتاجها عن البيت.. هكذا أصبح بحثي أسهل.. خاصة وأنك تستطيع (فلتر) البحث بحسب عدد الغرف.. السعر.. المواصفات...



الشبابيك الكبيرة لم تكن ضمن المواصفات التي يمكن (الفترة)  
من خلالها.. لذلك كان للصور فائدة كبيرة...

\*\*\*\*\*

توسط اكتئابي أيامي.. كقلادة تتدلى من عنقٍ طويل لامرأة  
عربية القلب.. كرديّة العينين..  
صار للحياة معنى أثقل وأعمق.. وهذا تعريف الاكتئاب.. دعك  
من الطب يا عليا.. دعك من علماء النفس الذين يدّعون العلم  
بأسرار الروح والنفس...  
كلما عرفنا الحياة أكثر.. كلما أصبح الاكتئاب لازمة وأمرًا  
واقعا...  
أقرأ كل يوم رسائل السوري.. وقصاصات الورق المنتشرة في  
أرجاء شقتي...  
لا يستطيع موضوع شراء البيت الجديد أن يخرجني من دوامة  
اللغة..  
دوامة كوننا ولدنا في بقع جميلة من هذه الأرض.. وأن  
حكوماتنا العتيدة جعلت أوطاننا أعشاش هجرة...  
غادرنا الأمكنة.. وأبت الذكريات أن تغادرنا.. نحملها على  
ظهورنا.. نفسرها.. نحللها. ونتمنى لو أننا نراها..

نحاول النظر إلى الظهر فلا نرى شيئاً.. نبدو كالحمقى! الناس  
تسير مرفوعة الرأس ناظرة إلى الأمام.. ونحن نبحت عن  
مصدر هذا الثقل فوق الظهر...

وقرأتُ:

"لم تعد سوريا كما كانت.."

بكيت لوحدي في تلك الزاوية الضيقة، لم يمر أحد بي.. فما من  
أحد يرى الضعفاء...

بكيت جميع خيباتي.. من الطفولة التي لا أذكر منها إلا ضيق  
حذائي.. إلى المراهقة التي لم تغير في ضيق مكاني شيئاً..  
بكيت كل الديانات التي اعتنقتها، وتلك التي أحسستها كبيرة  
علي..

بكيت كل بنات الجيران.. و(الفيران) اللواتي قرضن مقابض  
أدراج خزانتي الفارغة، وملأن الخيال (جبناً)..  
بكيت الأوطان المستباحة تحت اسم الدين أو عنوان  
السلطين..

كنت أبكي قليلاً، ثم ألتفت حولي قليلاً.. ما من أحد يراني،  
فأتابع الارتياح.. إلى أن وصلني صوت أمي:  
-الرجال لا تبكي بخجل يا "علي"، بل تحدث البشر عن نعمة  
(الدموع)..  
عندها فقط بكيت بصوت عالٍ.. وارتحت...".

عندما وصلتني تلك الرسالة عبر البريد الإلكتروني.. بكيثُ  
أيضاً...

ياسمين الطفلة السوريّة التي قطع عليّ المحيطات ليتبناها..  
كما الوطن.. خرجت ولم تعد.. وتفاصيل أخرى...



٥- تونس وطن الله على الأرض

إذا أردت نسيان حزن.. فشل.. خيبة.. أو حتى شخص.. يجب  
أن تحوِّله إلى فكرة!

في صباحية جميلة مع صديقتي السعودية الجميلة "أمينة"  
والسودانية الساحرة "نيل" .. ما أسعدني عندما أشاهد النساء  
عاقلات.. ذكيات.. مهذبات كلهن أمهات.. حتى من دون أولاد-  
: يلدن الطموح والأمل...

-تبدل ربات المنازل إسفنجات التنظيف كل شهر، بينما ينسين  
تبديل إسفنجات الحب...  
ماذا تقصدين؟

-كل علاقة إن حكمها الحب تأتي مع إسفنجة تنظيف..  
يعمل الحب كإسفنجة، تمتص أخطاء الشخص، صعوبات  
الحياة، الملل، المشاكل.. هذه الإسفنجة في حاجة للتجديد  
الدائم، وإلا بدأت المصائب.. ينتهي الحب تنتهي قدرتنا على  
التنازل وامتصاص المشاكل...

قراءة الكتب، استمرار التعلم، بناء صداقات جديدة وهوايات

جديدة.. كلها تمنحك إسفنجة جديدة.. وحتى الشكليات السخيفة  
تهم:

تغيير نمط الملابس-مع استمرار بساطتها- تغيير قصة الشعر..  
وما يناسب فردانية صاحبه من تغييرات مادية أخرى...  
العلاقات التي يحكمها الملل تنتهي انتهاء السيل، بينما تبقى  
علاقات الإسفنجة بقاء ينابيع الماء العذب...  
-الله عليك يا عليا! من يسمع يقول سيدة في مملكة الحب..  
شدي الحيل وتزوجي...  
-أنتظرك لتفعلها أولاً نيل.. فأتشجع...

-المرأة هي التي تصنع الرجل.. وتتوقف قدرتها على صناعة  
أي حلم فيه.. عندما تتوقف عن حبه.

ابتسمت أمنية وقالت:

-الأهم من الزواج هو حسن اختيار الزوج... وإلا ستقضي  
حياتك تبكين على أحلامك المقتولة.. بينما قاتلها في سريرك..  
بمناسبة الحديث عن النسخ المشوهة.. كيف حال المعارضة  
السورية.. سمعت أنهم فعالون في الخطابات يا عليا...

-حالمهم يشبه (الظ) و عفوًا من قلة الأدب.. طبعًا لا أعم..  
لكن للأسف أكثرهم صوت عالٍ وأفكار كريهة...

في ذلك اليوم كتبت على الفيسبوك..

عندما أمرّ على خطابات معارضةِ الفنادق..  
معارضةِ الكسل والقوالب المستوردةِ الجاهزة..  
يحتضنني الأمل للحظات..  
وبعد أن أقرأ..  
ومع كل شهادات الطب.. التحليل النفسي والفلسفة التي  
حصلتها..  
مع كل الكتب التي قرأتها.. وتلك التي تخيلتها..  
كل كنايات اللغة العربية.. استعاراتها ورموزها..  
ومع جميع كلمات الشتم المهذبة في قواميس العقلاء..  
مع كل ما سبق.. لا أجد أبلغ من كلمة “ظظ”!

وتخيلوا من ردّ علي المنشور..  
- احمدي الله أنك لست هنا لتتأكدي أنك لم تخطئي التعبير...

السوريّ

رد عليّ، ثم أرسل رسالة أخرى طويلة.. طويلة جداً.. ربما  
كتعويض عن كل لحظات الجنون التي أقسمت فيها أنه على قيد  
الحياة...



قرأتها وأعدتها.. ثم نسختها ووزعت نسخها في زوايا  
المنزل...

\*\*\*\*\*

عمار سكن بغداد حتى سكنته.. نسي عبير ربما تمامًا.. هي في  
لبنان، والبعيد عن العين بعيد عن القلب...  
ملأت هبة فراغ وقته بجدارة.. حتى ملأت فراغ قلبه أيضًا..  
تطوعت للعمل مع الأمم المتحدة، فلحقها.. وللمساعدة في  
المستوصفات والمشافي ودائرة النفوس، فتبعها.. كتبت ضد  
الأنظمة، فأصبح معارضًا.. حلل لها شخصيات من حولها وقدم  
لها النصائح المجانية.. بينما هي كملكات بابل المتخيلات  
تستخدم عقلها فقط، ولا تقبل القوامة.  
لم تكن الرسالة على باب هبة تهديدًا، ولا كانت رسالة غرامية،  
كانت فاتورة حساب البقال مع ملاحظة: “لا نستقبل السفارات  
في الدكان بعد الآن”.  
لم تدرِ هي أتبكي أم تضحك.. العراق في محرقة.. يقدم قرابين  
التجارة العالمية.. طرق الحرير والنفط بينما ينحصر عقل ذكر  
بين فخذه!

في اليوم التالي كان لهذه القصة جزء من محاضرتها عن  
وجوب الثورة في العراق.. قالت هبة أن الحل المتطرف لن

يجلب لأحفادنا سوى مزيداً من الويلات.. ودعت إلى اعتناق  
روح تونس في أرض الرافدين...

بعد نهاية المحاضرة.. لحقها عدد من المتطرفين، سب قسم  
منهم عليها.. وقسم آخر قال لها أن الشيعة منها براء..  
نحن في حالة حرب.. عدونا إسرائيل فقط.. تريدنا أن نبيع  
القضية؟ تريدنا أن نعرض بناتنا سافرات للبيع؟  
عرّف عن نفسه بكونه طبيب اختصاص جراحة.. وأنه خريج  
كلية الشريعة أيضاً..

قالت له هبة:

-هل تراني وأنا سافرة للبيع؟ إن كان الأمر كذلك فراجع إيمانك  
برب العالمين الذي خلقتني!  
ثم وجهت سؤالها إلى نجمة:  
-ماذا فعلتم في تونس حتى يصبح الشعب كله تحت علم واحد؟

تنهدت نجمة.. بنت تونس الجميلة، نظرت إلى الذكر الواقف  
أمامها يرغي ويزبد.. رأت لحيته غير المهذبة باتفاق مع  
لسانه.. وشاهدت السم في عينيه- الأفاعي تسكن العيون أيضاً-

وقفت شامخة كالخضراء وقالت:

-“لا نستطيع أن نفعل شيئاً.. نحن في حالة حرب!”...  
أقلها حولوا التربية الدينية في المدارس إلى مادة للأخلاق تُعلم

أخلاق جميع الأنبياء والرسل.. الأولياء.. الصالحين.. دعاة  
السلام.. المدافعين عن حقوق الإنسان.. بدلاً أن تعلموا الأطفال  
من نعومة أظافرهم أفانين التحزب وتمتحنوهم في أكاذيب  
التاريخ!

حوّلوا الجوامع إلى بيوت أخلاق: بإيقاف بهرجتها، باختيار  
جيد لمن يتكلم فيها، بفتحها للنساء قبل الرجال.. بتعليم الأطفال  
الموسيقى، الغناء، الشعر.. الرسم فيها.. حوّلوها إلى بيوت  
حقيقية لله بدلاً عن كونها مداجن لتفريخ المتأسلمين لا  
المسلمين...

~~تتكلمين بجدية؟! تريدين أن يتحول إلى الجامع إلى ملهى!~~

تحزني ضحالتك! هل تعليم الأطفال هوايات إنسانية تساعد  
على صقل شخصياتهم وتبعدهم عن الانحراف نحو الإرهاب  
وغيره هو تصنيع ملهى؟  
لا يا دكتور لم ولن أقصد ذلك.

إن الجيل الناشئ يحتاج إلى طفولة تستطيع هذه الجوامع  
المساهمة فيها بالمجان على اعتبار أن الأطفال أحباب الله،  
وأن الله جميل ويحب الجمال.. نحن أرواح من الله على  
الأرض، علينا أن نحترمها..

هنا قاطعت هبة الحديث، نظرت إلى الشاب ذي اللحية مسموم

العينين وقالت:

- دعني أيقظك؛ لم يحدث أن فجر رواد (ملهي) أنفسهم في باص مدرسة، لم يحدث أن نشروا خطابًا تدعو لكرهية دين ما أو طائفة ما.. لم يجعلوا سمعة الدين رعبًا، وسمعة المسلمين ذعرًا...

أصنامكم الملتحية التي تنادي بحاضر على هامش التاريخ وبمستقبل جنة للجنس هي أكبر ملهي عرفته البشرية...  
الله ليس إرهابيًا ولا أتوقع أنه في أي حكاية أو أسطورة فجر الله نفسه في أبرياء...

هنا تدخل عمار وسحب هبة ونجمة من المكان...  
- طعنوا ظهرنا.. هؤلاء من يلبسون قناع القضية.. لكن نحن ندين بالولاء لمن طعن ظهرنا، فلولا هم لكانت الطعنة في منتصف القلب.. لا تحزنوا!

بالمناسبة تخيلوا هذا الدكتور المتزمت حصل مؤخرًا على الجنسية الأمريكية.. هو هنا في زيارة قصيرة.. تخيلوا بعد أن تخصص في أمريكا وعاش من خيرها لا بل وأقسم على الولاء لها وعلى كونه أمريكيًا.. ما زال على تزمته وعقده...

كلما أرى هذه النماذج تسكن أمريكا ونحن يرفضون منحنا حتى حق الزيارة.. أعرف كيف نجح ترامب في الانتخابات..

القائمون على شؤون الهجرة وحقوق الإنسان هناك في حاجة إلى دروس في ثقافة شرق المتوسط...

أوصل عمار الفتاتين إلى بيت هبة.. ودّعهما:  
- في حال أي تهديد لأي منكما أخبراني.. تعرفت على شلة من الشباب النظيف المؤمن وسيقفون معنا...  
نجمة، أيمن أن تسبقيني إلى البيت؟ أريد الحديث مع هذا الشجاع...

ابتسم عمار ولمعت في عينيه سعادة حقيقية...  
بينما يرصفان شوارع بغداد بانطباعات قدميهما.. حكّت هبة له حكايات كثيرة.. حكاياتها بالنسبة إليه أجمل من حكايا شهرزاد..

حكّت له عن ذلك الصحفي الذي حاول إقناعها بالغناء بدلاً عن الصحافة.. وعن تلك السيدة التي سبّتها لأنها- على حد قولها- وقحة...

حكّت له عن زيارتها لمستوصف المدينة..  
- مريضة حامل.. (أوجعت) قلبي من كثرة سؤالاتها:  
ماذا أفعل كي يشبه ابني زوجي؟  
ضحك عمار: - لماذا هل سيشبه أحدًا آخر؟

- لا.. كان لدى المريضة ابنة خالة قتلها زوجها بعد أن أنجبت له طفلاً أشقر أبيض بعيون ملونة.. و(العيل) كلها من أقدم جد

تملك اللون الأسمر القاتم.  
الحقيقة التي ظهرت لاحقاً هي أن الطفل كان لديه مشكلة طبية  
شخصت له بعد فترة من ولادته تسمى متلازمة "الطفل  
الملاك" .. ولكنه من قلة العناية به (إذ نعتوه ب ابن الحرام)..  
لحق أمه إلى حيث يوجد شرف لا (استشراف)...  
المريضة (الدرويشة) كانت خائفة من القضاء والقدر، لأن  
المتحدثين باسم الله يتدخلون حتى في القضاء وفي القدر.

-ويسألون.. لماذا لا تشبهنا أحلامنا في الأوطان!؟

-إما أنها ليست أحلامكم، بل أحلام من تتبعون دون تفكير.. أو  
أنه هناك متلازمة (زمن جاهلي) تفعل فعلها وتميت كل أحلام  
(الملائكة)...

-العراق إلى ثورة يا هبة...

ابتسمت هبة، ثم وضعت يدها على خدّ عمّار:  
-أتمنى...

بعد أن أوصلها الغرفة الصغيرة التي تقطنها، شعر عمار أن  
لمستها بقيت معه، وأنّ خده ما زال يبتسم.. لمسّه بدوره..  
وابتسم...

\*\*\*\*\*

خرجت عبير من آخر تجمع ثقافي يطرح مشكلة السوريين في لبنان تبكي كالعادة.. لحقها ديار، حاول الكلام، فأشارت له بأن يصمت.. قال لها:

**Better to have your enemy inside the tent -  
pissing out, than outside the tent pissing in.“**

ثم صمت...

مشت ومشى إلى جانبها في شوارع بيروت الجميلة.. بعد مسافة نصف ساعة وخبز مع ملح صمت، قالت عبير:  
-أصدقهم بشرط واحد فقط: أن يذهبوا إلى بلادهم وينضموا إلى ما يسمونه ثورة حرية وكرامة.. هل من المعقول أن يفروا من شرف المقاومة؟

لم يتركوا عقلاً من شرهم.. تحوّلت البلاد إلى "أفغاصومال"  
وما زالوا يتحدثون بالأفضل والمستقبل!

الحمقى.. لاموا الأنظمة الاستبدادية لتكميمها لأفواه.. ثم شهّروا بكل رأي مخالف لغيرستهم..  
لا يهمهم سوى تصفية حسابات قديمة وتغطية أحقاد تأكلهم..  
بينما الوطن إلى دمار.

يمضون في محاولات تشريع قوانين كثيرة.. كلها ليس لها علاقة بالعدالة ولا بالتعايش، بل بالانتقام من النظام لإسقاطه على حساب أطراف كثيرة من الشعب.. المشرّع هو الغرب.. والتمن نفط سوريا الموعود لدول الغرب...

-هل تعتقدون أن أنظمة العرب بكلها ستسمح لصوت مخالف بأحقية الصدى، هذا ما يحدث عندما تقص الألسنة.. تثبت مجدداً.. تثبت همجية بلا ترابط مع عقول أصحابها..

أنظمة تعلم أن منقذها الوحيد هو داعش ومن والها لن تصبح خياراً...

قال مترجماً جملته الإنكليزية.. هي لأحد الساسة الأمريكيين: "أن تجعل عدوك في داخل خيمتك يتبول إلى الخارج، خير من وضعه في الخارج يتبول إلى الداخل!" ابتسمت عبير: -هذه خلاصة ما يفعله محترفو السياسة في أمريكا...

-ما كان ليحدث لو أن تكلم هؤلاء من داخل سوريا.. أقصد ما كان يحدث لو أن الحرامية والسراق لم يأكلوا حق الفقراء في حرية فكر.. وظيفة باختصاصهم.. أربعة جدران وقبر؟!!

-أعرف أن ما تقوله منطوق، لم يدهشني ما حدث في البلاد، غالبية الشباب بحثت عن الهجرة منذ زمن طويل.. أدهشني



حقد المتثاقفين.. هل سمعتَ بالحقد الذي يبلع وطنًا؟!  
أعماهم الحقد ثم وقعوا بين نارين: نار اعترافهم بالخطأ  
ومواكبة نصف حقيقة.. ونار قطع يتبع نصف حقيقتهم، فإن  
عارضوه داسهم.. وهرسهم بحقدهم!  
غزواتهم تتوالى ونكباتنا تستمر...

-تذكرتُ أنك من معارضة النظام القديم.. وعلمتُ أنك معارضة  
للنظام الجديد سواء أكان مستحدثًا.. مبعوثًا أو مجددًا... لكني  
أبصم على كونك والقلّة مع الوطن...

-لنا الله يا رفيق.. لنا الله...

٦- بين الأكراد والأيزيديين: ضاع الشرف  
العربي

حبيبي..  
ما أنت إلا أصابع طفلي الصغير  
يلون.. يحدّد معالم الإطار..  
للوحة اشتريتها لطموحي الكبير  
قلتُ: سأجدد المكان..  
سأغيّر الحياة بلوحتي الكبيرة..

وضعتها بكّأها في زاوية القلب..  
أنهكتُ المكان  
رفعتها...

وضعتها مائلةً على شباك الروح..  
طيرتها الريح..  
رفعتها...

وضعتها ملفوفة في مكتبة العقل..

لَقَّهَا الْغَبَارُ..  
وَالْغَبَارُ ذَاكِرَةٌ فَوْقَ الذَّاكِرَةِ..  
أَوْجَعْتَنِي الذَّاكِرَةَ..  
فَرَفَعْتَهَا...

وَضَعْتَهَا فِي الْمَطْبَخِ.. فِي الْحَمَامِ.. وَفَوْقَ قَهْوَةِ الصَّبَاحِ..  
تَبَلَّلْتُ!  
مَا هَكَذَا تُعَامَلُ اللَّوْحَاتُ...

نَشَرْتَهَا عَلَى حَبْلِ الْغَسِيلِ.. عَلَيْهَا تَجْفُ..  
تَذْمُرُ الْجِيرَانَ..  
حَاكَمُوا سَمْعَتِي بِتَهْمَةِ الْإِغْوَاءِ!

رَفَعْتَهَا.. قَصَصْتَهَا..

قَلْتُ لَهَا:  
تَعَالِي أَقْطِنِي فِي جَعْبَتِي..  
تَمَرَدْتُ..  
غَادَرْتَنِي مَسْرَعَةً..

فَتَبَعَثَرُ الزَّمَانَ  
مَا عَدْتُ أَعْرِفُ تَارِيخَ الْبَارِحَةِ..

وطني.. حبيبي..  
أتراني نسيت أن الفراق يمزق المكان..  
يوقف الساعات..  
ويسرق اللوحات...

في يوم مشمس جميل.. دخلت بيتًا صغيرًا معروضًا للبيع.. لم يكن بسقف عالٍ ولا بشبابيك كبيرة.. لم يكن دهان حيطانه أبيض، ولم يكن مطبخه كبيرًا..  
يعني باختصار ليس في هذا البيت أغلب ما بحثت عنه..  
لكنني أحسست بأمان غريب فيه.. أحببته من قبل الخروج إلى الحديقة.. وفي الحديقة طار حولي طائر الطنان المفضل عندي.. وكأنه يؤكد: هذا بيتك، ولن يكون لسواك..  
البيت يحتاج إلى الكثير من العمل: دهان.. مطبخ جديد.. أرضية.. حديقته تبدو مهملة تمامًا أيضًا..  
وضعت السعر الذي أستطيع دفعه -أقل بكثير من السعر المعروض-.. في داخلي نبوءة أن هذا البيت سيكون بيتي..  
أؤمن أن هناك أرواحًا تسكن الأمكنة، وترحب بك مالغًا للمكان من لحظة دخولك.. لا وأكثر من هذا تعرقل شراء البيت من قبل غيرك...

قال لي تاجر العقارات:  
-لا أظنهم سيقبلون بهذا السعر.. ارفعيه قليلًا...  
فقلت: -حاول إن لم يقبلوا، لا أريد البيت...

البيت في مخيلتي بيتي في ذات يوم رسالة السوري الأولى بعد  
انقطاع طويل...

الرسالة الأولى من "علي" طويلة وهائلة في حب الإنسان..  
قرأتها إلى الآن خمسًا وخمسين مرة!  
كانت صلابة الجلد التي ابتليتُ بها أضعفَ من أن تحرمني من  
متعة الخيال، فذهبتُ -افتراضياً- معه إلى العراق.. ثم إلى  
سوريا، ثم قرأتُ المقطع التالي أكثر من مرة.. نبوءة ما  
أزهرت في قلبي بكون الحلّ السحريّ للحرب يكمن بين هذي  
السطور:

- سكنتُ في سوريا في مناطق تابعة للأكراد.. تعرفت على  
جميل الأخلاق كاسترو.. طبيب يأخذ رغيّف خبز تنوّر في مقابل  
المعاينة.. وإن كان المريض جائعًا، فإنه يعطيه رغيّف من  
قبله..

كاسترو هذا علّمني أن أحب الأرض وأهلها فأكتسب حبّ  
السماء.. لهذا كان كاسترو يحلم بوطن للأكراد.. وأخبرني أن  
القومية العربية ما اعترفت يوماً بكردها، فلا هي قبلتهم  
سواسية لغيرهم.. ولا هي احترمت قبولهم بكونهم ينتمون أولاً  
لكردستان...

ماذا أخبرك أيضاً.. عن كاسترو؟

له حبيبة أيزيدية اسمها "نينوى" .. سيتزوجها قريباً ..  
كانت سبيّة عند الهمج .. نعم دولة الخلافة .. داعش .. ومن لف  
لفها .. حكت لنا بصوت يخنقه البكاء عمّا حدث في سنجار وعن  
يوم المجزرة الكبير .. قالت لنا:

- "هجموا كغيلان البريّة الجائعة .. يكفي أن يراهم أو يسمع بهم  
أي إنسان لينفر من الإسلام ردةً لا صلاة بعدها ..  
قتلوا المئات .. وأخذوا النساء والأطفال كغنائم حرب .. أنا  
أصبحت ملك يمين ...

ديانتي كانت أيزيدية .. ولتبسيطها أقول لكم: نحن نجمع الحسن  
من كل الديانات، ديانتنا عبارة عن توحّد ل: الزرادشتية  
والإسلام والمسيحية واليهودية ..  
قالوا لي يجب أن تصبّحي مسلمة .. والإسلام في نظرهم: نقاب  
وقول للشهادتين .. ماذا أقول لكم أيضاً؟

تعرفت على تماضر .. يقولون أنّها بشعة - ولا أرى أيّة امرأة  
بشعة - كادوا يقتلونها .. فأقنعت الأمير بالإبقاء على حياتها  
لأنّها تطبخ جيداً .. وبالإبقاء على حياتي لأنني أجيد صنع  
الحلويات ...

تماضر تلك كانت أفضل من شهرزاد في نشر تمانم طبخها  
الشهيّ .. وما أفجع من الأمير إلا من والوه ...

كيف تحملتُ ما تحملتُ؟

روح السيدة زينب تركت مزارها ورافقتني.. حتى دخلت  
سوريا.. هذا ما أقنعت به نفسي:  
تزامنت غزوة الهمج للايزيديين مع تفجيرهم لمزار السيدة  
زينب في سنجار وقتلهم لمن كان يحرسه..  
بعدها رأيت زهور الزينب البيضاء في منامي.. واستيقظت مع  
إحساس بهالة تسكن جبهتي.. هالة تشبه روحها.. حممتي  
ولمّت ما بقي من روعي...  
زينب.. بنت فاطمة الزهراء والإمام علي.. وحفيدة الرسول  
محمد.. زينب التي ساقوها يوماً سبيةً مثلي.. فما هُزمت ولا  
سمحت للفجّار بالانتصار... لهذا أنا هنا.. وسأزوج من  
كاسترو.. الرجل الذي يستحق شبيهات زينب.. ويصون عرض  
الأديان كلها...”

نينوى وكاسترو مثلٌ لبيت آمن ومستقبل أبيض...

ماذا أحكي لكِ أيضاً يا عليا العُليا..

لم يبقَ من قلبي إلا قطعة صغيرة تضخ الدم إلى الذكرى،  
فتصير الذكريات يومياتي ومستقبلي.. هذا ما يسميه الطب  
النفسي “متلازمة ما بعد الصدمة” أو متلازمة ما بعد الرض  
النفسي.. أليس كذلك يا حكيمة؟



قطعت الحرب العراقية، فالسوريّة كل شراييني إلى الأحلام،  
هكذا شاهدت أحلامي تموت مع الأعرّاء الذين فقدتهم.. هؤلاء  
الذين رحلوا إلى السماء، وأولئك الذين بقوا في الأرض بعد أن  
تغيّروا بإرادتهم أو غصبًا عنهم...

الحياة على هذه البقعة من الأرض تشبه جهنم.. لكنها بلا  
شبابيك..

ستقولين لي: لها أبواب..

وسأجيب: أبواب كثيرة، لكن اللصوص وقطاع الطرق كما  
سجناء الفقر والعوز لا يملكون مفاتيح...

ستقولين: لست من هؤلاء...

وسأجيب: كيف تتحركين بحريّة في مكان يعج بمن تريدين  
الهرب منه، ومن تريدين مساعدته؟

الأكراد والأيزيديون لا يشبهون العرب.. يشبهون الشّهام من  
العرب.. ومتأكد أنك ستسألين لماذا وضعتهما معًا.. وكثيرون  
يقولون اليزيدية دين والأكراد قومية..

وضعتهما معًا لأنه ببساطة بين المجموعتين: ضاع الشرف  
العربي...

ما حدث للأكراد وللأيزيديين في ظل الحكم العربي من تهميش  
ومحاولة دمج كان مثل ما حدث لليهود في ظل العرب في  
الماضي.. لهذا تعاطفت مع تلك الجماعات.. وانتميت ضمنيًا

لهم...

أما عن سوريا يا السورِيَّة:

يا عليا الناس هنا غير ناسٍ.. لا يوجد بيت إلا وفيه كأس أو  
اثنتين للموت.. لا يوجد حائط في قلب لم يُعلّق صورةً بشريط  
أسود...

القهر.. الفقر.. في عيون الناس وفي نبرات صوتهم الحزينة  
والغاضبة.. ولا أرى استقرارًا قريبًا ولا نصرًا بعيدًا...

\*\*\*\*\*

في ليل بغداد الجميل، تمتلئ السماء بالأولياء.. يجلس كلّ منهم  
على نجمة ويتقبلون الأدعية...

كان عمّار يدعو الله في أن يحصل على قلب هبة.. فهو يعرف  
أن عقلها ملكية جدّ خاصة.. قال لصديقه:

-لست أدري كيف أصف لك مشاعري تجاهها.. "أربعون ألف  
سنة من لغة الإنسان ولا يمكنك أن تجد كلمة واحدة تصف  
تمامًا الشعور الذي في داخلك." كما يقول "إميل سيوران".

-هبة أشهر من قارب بين الفتيات.. تقرب بينهنّ بالغيرة منها..  
هذا يعني أن تصبح الفتيات صديقات بسبب غيرتهن المشتركة  
من هبة.. الغيرة شعور طفيلي يحتاج إلى أحياء حتى يسترزق!

في مقالها الأخير، تكلمت هبة عن مستحضرات التجميل وعن قدرة بعض النساء على الظهور كشخص آخر.. قالت أن: تحويل النساء إلى لوحات فنية يشبه تغطيتهن بالنقاب.. وقالت أيضاً: أن زمن الجنس حلّ بجدارة مكان زمن الحب.. وأصبحت المرأة عبارة عن فرج وشفيتين.. تتفنن في إظهارهم من أجل الذكر أو يتفنن الذكر في تغطيتهم من أجل القضيب... إن المطالبة بإيقاف تغطية النساء لهو حق مشروع في زمن جهاد النكاح.. وهو أول طريق من طرق الخلاص من داعش ومن التحرش في بلاد العرب المهزومة!

لكن في هذي المرة لم يمر مقالها على خير.. أوصله مدعو الإسلام إلى المتأسلمين.. الذين بدورهم حوروه ونقلوه إلى المرجعيات الدينيّة مشوهاً ومعادياً للدين...



٧- ثلاثُ عيون وأنفان

تعلمتُ أنّ الحياة تلعب معنا.. هي طفلة لا تكبر.. بينما نحن  
نهرم ونشيخ..  
تفاصيلنا التي لا تشيخ هي:  
حديثنا.. تفكيرنا.. مواقفنا.. حزننا.. فرحنا.. نجاحاتنا.. فشلنا..  
ونظرات عيوننا.  
أما صورنا.. تصفيفة شعرنا.. ملابسنا.. والنقشات الصغيرة  
التي في الظاهر تهمننا هي قشورنا..  
كل ما سبق هو ما يرانا الناس عليه، وهو الذي يحكم على  
الآخرين لا علينا.. فأنت مثلاً عندما تقدم رأيك في (سفور)  
النساء تعلن صراحة أنك تنظر إلى المرأة بغريزتك قبل عقلك..  
وهنا تعطي انطباعاً عنك لا عن السافرات...  
في العالم الافتراضي كلماتنا تدلّ علينا..  
أنا أعلم من أنت من خلال كلماتك.. فإن رأيتني مرة في مطعم  
أو حديقة عامة هل ستقول لي: شكراً على ما تكتبين، أو أنك  
قرأت كتاباتي عن طريق عقل آخر!

كتبت هذا في ذات وقت وصول رسالة تاجر العقارات..

قبل سكان البيت بعرضٍ آخر.. مبلغ أكثر مما عرضت.. آسف  
سنبحث عن بيت جديد...  
شكرًا.. ليست مشكلة...  
وقلت في نفسي: كنتُ مخطئة.. ربما كان عليّ رفع السعر..  
لحقتُ حاستي السادسة أكثر من اللازم...  
\*\*\*\*\*

خسرتُ البيت يا نيل.. حاستي السادسة لم تعد تعمل.. فلماذا  
تثقين بها؟  
-هل باعوه؟  
-يبيعونه.. قبلوا عرضًا آخر..  
-سيعود البيت إليك.. سترين..  
-الآن أنت تتجمين يا نيل؟  
-لصديق الطيب المؤمن من وحيّ الله نصيب.. وأنا صديقتك..  
ثم أعادت: لا تقلقي.. اقراي لي الفنجان...  
-لأحدثك عن ماذا؟  
-عن أبسط الأشياء: كقدرتي على الإيقاع بحسن الشاب  
الجميل.. إلى أعقدها كالمستقبل في دول العرب..  
-أما عن حسن فتوقعين به في غمضة عين إن أردت.. سر  
الوصفة: أهمليه.  
أما عن سؤالك المعقد، فكيف لي أن أفتح الفنجان وأقرأ لك في  
قعره عن مستقبل غريبة؟ افتحى التلفاز وشاهدي المهازل

بعينيك، أو يا ستي اقرأي في الفضاء الافتراضي..  
نحن نصدق فناجيننا أكثر من جرائد بلدان فررنا منها.. هل  
يعني لك ذلك شيئاً؟

-أريدك أن تستخدم الحاسة السادسة القوية لديك.. نحن  
أصحاب البشرة السوداء نرتبط بالقهوة ونحبها..  
القهوة الجميلة توحى لنا بالمساواة.. المساواة التي فقدتها في  
بلاد العرب وأفقدتها هنا في بلاد الغرب...  
العنصرية تاكل فيّ يا عليا.. ومع حجابي ازداد الطين  
طيناً.. وحتى هذا الحسن.. أظنه لا يجذب الارتباط بفتاة  
سوداء...

-إن كان الأمر كذلك، فهو لا يستحقك.. يا نيل أنت تعلمين أن  
الحب لا يعرف شكلاً ولا لوناً.. هو موّحد الناس الأول..  
الانجذاب الجنسي يخضع لعامل الشكل.. وليس كلّ الحب  
جنساً.. وإلا لما كان له من السحر شيء...  
من أراد بك شراً سيجد ما يفرقك عنه.. ولو كنت شبهه تماماً..

-عنصريتهم في بلاد العرب كانت ضد لوني، هنا عنصريتهم  
ضد لوني وديني.. أعلم أنك خلعت الحجاب يوماً وكانت  
العنصرية أحد أسبابك.. لكن أنا تعودت عليه.. ومع أنني اعتبره  
عادة لا فرضاً ولا اعتبر وضعه دليل إيمان ولا كفر، لكن من  
حقي أن ألبس كما أريد...



-أنا نزلت الحجاب لأنني لست بصدد الاستمرار في عادة  
تتحول يوماً بعد يوم إلى عنوان خاطئ للشرف.. العنصرية في  
بلاد العرب كانت ضد نزعى له.. كثيرون بصقوا عليّ..  
تصوري: قبلت النساء مهانة أخواتهن من أجل قماشة لا تدل  
بتاتاً على أخلاق رأس واضعتها...

-أعرف يا عليا.. الحجاب زيّ واختيار شخصي للباس بحشمة  
ووقار.. لن يصبح يوماً دليلاً على الإيمان. ثم ابتسمت  
وأكملت: بالله عليك اقراي لي الفئان...

-طيب يا نيل.. في فئانك طفل صغير يجلس على عتبة عقلك..  
لن تحصى عليه إلا إن فتحت قلبك...  
\*\*\*\*\*

عندما سكن عمار العراق، لم يخطر في باله أنه سنيّ المولد  
يسكن في مناطق الشيعة.. كانت رجولته كفيلة بعدم وضعه  
لحاجز يميّز بين طائفة وأخرى.. وفي الحي الذي كان فيه  
اعتقد الجميع أنه شيعي عراقي أو علوي سوري..  
زار مرقد الإمام علي كل أسبوع:  
- يا عليّ ألا ترى ما حلّ بنا؟ ألا ترى كيف صار الدين مجرد  
قشور ومظاهر خادعة؟ أين العمل وأين العمّال؟ كيف لبلد نطفه  
أكثر من مائه أن يعيش في العتمة؟

قال ل هبة يومًا:

-كان الوضع أفضل لو كان للسنة ثلاث عيون وللشيعة أنفان..  
أقلها نعرف كيف يختلفون ولم يختلفون؟  
ضحكت الهبة وقالت:

-أريد لسانين.. وأي دين يمنحهما أحق بانضمامي إليه.  
ثم صمتت قليلاً وتابعت:

-نحن نسينا معنى الدين، الطوائف مجرد مهرب لضم خيبتنا:  
الأطفال الحفاة يملؤون الشوارع.. اليتامى لا مكان لهم..  
المشوهون من الحرب منبوذون.. بينما نحن، يا نحن:  
نرفع أعلام حجاب المرأة، لحية وزبيبة الرجل.. أفضلية  
الطائفة وأحقية ملك على ملك..

العراق.. سوريا.. الأردن.. فلسطين.. لبنان.. مصر.. المغرب..  
الجزائر.. وكل بقعة من محيط الغاز والفقر إلى خليج النفط  
والكبت؛ نفس الوباء؛ خلط الدين بالسياسة، ثم حكمهما  
لحياتنا...

الدين الذي وُجدَ أساساً ليدافع عن البشر ويمنع الظلم.. تحوّل  
إلى أداة ظلم بيد الساسة ومعول تمييز بين البشر... انتهى زمن  
"اقرأ" .. وبدأ زمن: قَلْد...

-أفهمك، أحببت فكرتك في مقالك الأخير حول "قراءة ما  
تيسر" .. كيف لم تخطر لي قبلاً؟ أنتِ قارئة ممتازة.. فكرة

الكتب على الهاتف المحمول رائعة...  
-أفضل من سماع نعيق (الشيوخ) أو فحيح (المطربات).. ها..  
-صديقتك التونسية غريمتي تأخذك مني كل الوقت.. كيف  
حالتها؟

ما زالت تدعو إلى حرية المرأة في مجتمعات (الإسلام).. هل  
تعرف بأن أباهما أجبرها أن تضع الحجاب منذ سن العاشرة..  
وعندما فرّت من تونس.. فرّت من الظلم والقهر.. أرادوا  
تزويجها غصبًا...

-من الممكن أن تسمي نفسك مسلمًا وفي ذات الوقت تكذب،  
تخون وتذكر اسم الله كصنم في صلواتك دون أن تتفكر فيه..  
في المقابل:

تستطيع ببساطة أن تكون شريفًا، صادقًا.. وشهيمًا ويقال عنك  
(كافر) ولا تكثرث لأنك حقًا تؤمن بالله..

نحن لسنا في محكمة إلهية.. والله ليس المدعي العام.. ولا هو  
القاضي.. بل هو الرحيم... خلق كل البشر، بالمنطق هل يعقل  
أن أغلب سكان العالم إلى جهنم كما يدّعي المتأسلمون؟  
هل يعقل أن سيدات النساء؛ المخترعات.. الكاتبات.. الطبيبات..  
المعلّمات.. الأمهات.. ناقصات عقل؟

-معك حق، يصلح الله محامياً لكل منّا.. وكل ناس الأرض  
سواسية، لا فضل لأحد على أحد إلا بالعمل النافع للغير، لذلك -

للأسف- ليس في بلاد المسلمين إلا قلة لها فضل على  
العالمين...  
العراق إلى ثورة يا هبة...

-أتمنى...

\*\*\*\*\*

تبحث عبير عن عمل في جديد في لبنان.. في عملها السابق  
حاول صاحب المكان التحرش بها.. وعندما رفضته، قال لها:  
-أنتم السوريون أكلتم بعضكم بعضاً.. وتتكبرون علينا...  
صرخت في وجهه أمام كل الناس وهي تغادر المكان:  
-السوريون الحقيقيون أسياد من لا وطن له كأمثالك.. حرام  
عليك الجنسية اللبنانية، لبنان لا يتشرف بك يا فاسق، بل  
يحتضن سيدة شريفة مثلي...

الطريق إلى المنزل كان طويلاً.. أحست عبير أن الخسائر التي  
تجلبها الحدود بين الدول أهون من الخسائر التي تسببها فكرة  
القومية الواحدة أو الدين الواحد...

على الأرصفة يكثر الأطفال السوريون العاملون.. لكل منهم  
قصة وحكاية مع غصة في القلب.. يرددون دونما تفكير جملاً

موبوءة تعلموها من الاتجاه السياسي الذي يعملون تحت سقفه  
المعتل...

في بيروت للغنى ألوان قوس قزح، بينما الفقر يكتسي بسواد  
الفقدان والموت مهما كان الاتجاه السياسي...

ديار الذي ظهر في حياتها فجأة، يعمل في بنك.. مع أنه خريج  
أدب عربي: أزمات العمل هنا تلاحق حتى من يحمل الجنسية  
البنانية..

بدأ كلامه معها يومها بتعريف للثورة...  
-الثورة هي التطور الطبيعي لسرقة الوطن والمتاجرة بأحلام  
شبابه..

هي التطور الطبيعي لضياح مستقبل الشباب بسبب الفساد  
و(المسؤولين).. بسبب كمّ عقول المثقفين وإطلاق أذرع  
وأذيال اللحي...

تحوّل الثورة إلى صراع مسلح.. حرب أهلية.. طعنة في قلب  
الوطن.. هو التطور الطبيعي لعدم قدرة أنظمة الفساد على  
كسب عقول الشباب الضائع..

التطور الطبيعي لملايين الدولارات المنفقة على كليات الشريعة  
ودور العبادة في حين تهرب العقول بحثاً عن وطن!

كان هذا في لقاء عاشر بينهما.. قال لها أنه يحاول السفر إلى  
كندا، أخبرها بأن جميع رفاقه يحاولون السفر أيضاً..  
-أية دول تلك التي يتسابق شبانها إلى مغادرة المكان.. لا أعتقد

أن في دول العرب استثناء...

ماذا عن دول النفط؟

تقصدون العراق؟

دول الخليج...

-أظن أن سكانها يحاولون الخروج لأسباب أخرى الكبت..

التعليم.. العنصرية ضد طوائف معينة...

-أنت متحامل على العروبة.. هذا غير صحيح.. كثيرون

يريدون الذهاب للعمل في الإمارات...

-أنا لست متحاملاً.. أنا حزين، أحب شعوبنا كثيراً.. أعلم أن

الطيبة والكرم ليس عنواناً لغيرنا.. لكن يفجئني ما يحدث..

لماذا.. لماذا تحولنا من قراءة الكتب إلى قراءة الطالع؟ لماذا

تحولنا من عنوان للحضارة إلى عنوان للإرهاب.. أنا حزين

وموجوع.. وطني الكبير يؤلمني...

-لماذا لا تبحث عن عمل في العراق؟

-تتكلمين بجد؟

-أجل.. كثير من أصدقائي يعمل هناك برواتب جيدة جداً...

-أحاول إذا.. في كل الحالات.. كي أعود لفكرتي.. وأوضح ما

أقصد..

تبقى الأنظمة المسؤولة الأولى-ليس الوحيد- عن ضياع الأوطان

قبل الثورات..

من يقول غير هذا الكلام خائف.. أو جبان أو يريد إسكات

صوت ضميره لينام قرير العين...

لكم الله يا أهلنا الطيبين في أوطان غادرناها.. لم ولن تغادرنا..

ابتسمت عبير:

-أنا جبانة!

-لم أقصدك.. لكني حزين.. أتتوقعين أن الوضع في لبنان أحسن؟ سينفجر قريباً.. كما في كل دولة عربيّة.. في زمن الافتراض لم يعد للحكومات مجالاً للنفاق واللف والدوران.. هذا زمن الثقافات المطبوخة في قدر واحد.. هل تعلمين ما يعني أن تطبخي سمك المساواة الغربي مع لبن عربي حامض وغير صالح للاستهلاك.. النتيجة حتماً عسرة هضم...

-لماذا لا يأكل الغربيون؟

-لأنهم يملكون حق الطبخ بمفردهم.. ويضمنون كرامة الجلوس حول الطعام وحق الشبع...  
قلت لك أنا جبانة...

اقترب ديار خطوة، ثم خطوتين.. وفي لحظة سحر احتضن عبير بكامل ذراعيه...

-أنت لست جبانة.. أنت وحيدة..

صمت قليلاً وأضاف:

-وحيدة مثلي.. مثلي تماماً...

\*\*\*\*\*

احتلتُ على الدنيا بخصر نحيل، بشرة سمراء.. وعينين  
سوداوين.. قلت للمصائب تعالي فرادى ولا تتجمعي فوق  
ظهري، فالحدبة لا تليق بصدري ولا بكتفي...  
لم أعرف أنّ أنوثة المرأة لا تكتمل إلا بقوّتها.. بتحدياتها  
للصعاب.. بلا الحق.. بعدم تبعيتها للذكور وبمجاراتها  
للرجال...

كانت العراق دومًا هنا في قلب الذاكرة.. تمشي حافية على  
طفولة آمنة.. أزقة هادئة تهمس لي:

- امرأة شربت من ماء العراق هي ست النساء..  
لا تُكسّر.. لا تُهزّم ولا تقبل بالفشل، بل تُصيرُه نجاحًا...  
سيدات العراق كسرن طوق الحريم.. وعلمن الدنيا كيف تكون  
النساء...

قالت:

إن فرضيّة الحجاب تشبه الزواج التقليدي.. في كثير من  
الحالات ينجح هذا الزواج، لكن حالات فشله تصفع الدين  
والإنسانية...

ما كان يحدث لو تحوّل حجاب المرأة إلى لباس تقليدي كعباءة  
الرجل؟ من أرادت لبسه فلتفعل بكامل إرادتها.. القرآن كتاب  
كنايات والآيات التي يقول البعض أنها تحضّ على الحجاب  
ليست سوى كنايات على وجوب الستر العقلي، واحترام  
الذات.. تمامًا كآية قطع يد السارق مثلًا..



قطع يد السارق معناها منعه من السرقة.. لا يعقل أن يريد الله عباده مشوهين عاطلين عن العمل عقابًا.. العقاب الأقسى هو إصلاح الخلل وقطع الطريق على تكراره.

من المحجبات سيدات النساء وأراهنّ كذلك، لكنني لا أفهم كيف تقبل المحجبات أنفسهنّ تحويلَ الحجاب إلى فرض وبالتالي: قمع كثيرات من رافضات فكرته وإجبارهنّ عليه.. وتحويل السافرات إلى موضع شك؟

أنا لست ضد حرية اختيار الملابس.. لكنني ضد فرض لباس ما على النساء، واعتبار المرأة كائنًا ناقصًا.. يحتاج من يقرر بدلًا عنها.. فيما يمتلك الذكور السلطة والنفوذ، فلا يصل الأوطان إلا الخراب...

فررتُ من تونس من ظلم أهلي.. من قهر المرأة.. إجباري على الحجاب كان مقدمة لإجباري على الزواج واسمعي ما حدث...

هُدِرَ دمي ولحقتني أخي إلى مصر.. حاول قتلي.. تتخيلين؟ استخدم أمي طعامًا... قال لي:- هي مريضة.. تريد أن تراك...

-اتصلت أمي بي - عبر الفيسبوك - قبل ساعة من لقائه وأخبرتني أنه يكذب وأنه مجنون ويريد قتلي "لحماية عرضه"...

تخلي هبة: لجأت أمي لفتاة غريبة في الشارع لتبعث لي الرسالة عبر (الفيسبوك) الذي تسمع عنه مننا ومن جاراتها.. قالت لي أنها لا تنام لأنني لست بخير وطلبت مني أن أهرب إلى بلد آخر وألا أخبر أحداً عن مكاني... وأكثر من هذا أن أغير اسمي.. تتخيلين؟

قالت لي: انسي اسمك القديم وامسحي هذه الصفحة.. أنت نجمة في سماء روعي وسألقاك عند الله.. كوني بخير...

ليلتها رحلتُ إلى الأردن، ثم العراق.. لن يخطر في بال أحد أن أجا إلى العراق.. ومن تلك الليلة وأنا نجمة الصباح.. وصباح هو اسم أمي...

بكت هبة مع نجمة.. ولا كالبعاء المشترك يصنع الصداقات المتينة...

هبة تعلم أن مقالها الأخير فتح عليها عيون كلاب السلطان وتجار الأديان.. لكن في قصة نجمة اليوم رسالة إلهية إلى هبة أن:

"استمري.. إن الله معك"...



٨- غاردي دبيّ

أحسسته يوماً مختلفاً!  
يومٌ وردني في عالم أزرق..  
يوم يحق لي فيه الحلم..  
ما أصعب الحلم إن كان قاموسك لا (يرشي) الأحلام!  
ضفرت لون شعري البني الذي لم تلغنه ألوان التّجار..  
وعلى وجهي:  
وضعت ابتسامةً مكان أحمر الشفاه.. وأملًا مكان الكحل في  
العينين..

ربما سيكون اليوم تاريخٍ مستقبلي لحفلٍ ألبس فيه الفستان  
الأبيض..  
حفل لا يشبه الطبل والمزمار..  
يصورنا الأصدقاء على شاطئ البحر..  
ثم نذهب عَشَرَتْنَا للعشاء في مطعم بسيط اعتاد تقديم الياسمين  
للعريسين...

اليوم في اليوم يشبه اليوم في الغد.. نحن نعيش مستقبلنا دون  
أن ندري..

نعيش يوم نجاحنا ويوم فشلنا.. ولادة أول حلم وأول طفل..  
وحتى تاريخ موتنا يمر من أمامنا كلّ عام...

كتبتها في يومي السعيد الذي وصلت فيه ثاني رسائل  
الغائب...

\*\*\*\*\*

يا رب اقتل المتزمتين قبل أن تنتهي الحضارة كما انتهت في  
القديم..

كنت أشاهد مجازر داعش في حق السوريين.. أكل القلوب..  
اغتصاب الأطفال.. بيع النساء.. الغضب والعجز يحاصر  
بساطتي.. السؤال الذي يُحيرني:  
-لماذا لا يثور المسلمون ضد داعش؟ لماذا لا يدافعون عن  
سلامهم؟ كيف يتظاهرون ضد الغلاء وضد الفساد وحتى ضد  
الأنظمة.. ولم يكثرثوا لسرطان يستشري في جسد أوطانهم من  
المحيط إلى الخليج؟

كلّما كتبتُ شيئاً على (الفيسبوك) فإن كثرة يسرقونه

ويتبنونه.. هذا يعني أنهم يؤيدون الفكرة على الأقل، فلم لا يشجعون عليها؟

القلوب النبيلة وحدها تشارك منشوراتي وكتبي.. هي تعلم أن نشر الأفكار في زمن نقاب الفكر زكاة في رصيد مستقبل أحفادنا..

كنتُ أسبح في أفكاري.. وأشرب قهوتي على ضفاف البحيرة الأمريكية الهادئة.. الشواطئ هنا ملك الفقراء قبل الأغنياء ولا مجال لاحتكارها..

دعنتي نيل إلى ما يسمونه هنا (البرانش) وهو وجبة فطور متأخر؛ يعني وجبة بين الفطور الباكر والغداء.. يمكن اعتبارها الفطور الطبيعي في بلدان الشرق - حيث يستيقظ الناس في أيام العطل متأخرين أو يهملون فوائد الإفطار في الأيام العادية فيتأخرون في الأكل.. أو ببساطة يمنعهم الفقر من الأكل صباحًا..

كل شيء هنا يجعلني أعيش المكانين في نفس الزمان! في قلبي أفكار حزينة وأخرى لها أمل لا يموت..

عندي تصوّر لا يخلو من المنطق بأن البشرية وصلت إلى نفس زمن العولمة والصواريخ في القديم.. أي أن الفراغنة مثلًا عرفوا الهاتف المحمول والحاسب الشخصي.. وصلوا القمر.. وغاصوا في قاع البحار.. يعني كما أنه لكل منا حيوات

كثيرة.. فلكوكب الأرض حيوات أكثر.. لكن عمره في كل حياة  
آلاف السنين...

ربما خلط الدين بالساسة أفسد الأمكنة في القديم.. وهذا ما  
سيحدث مجددًا إن لم يستخدم البشر عقولهم..  
إن الأديان لم تأت من جديد، بل تكررت للبشر.. وفي كل حياة  
لهذا الكوكب كانت هناك أديان سماوية دعت إلى خير الناس إن  
هم استخدموا عقولهم.. الأديان كالثورات.. يركبها المستفيدون  
والضالون!

-ليست الجالية العربية في بلاد المهجر بأحسن من سواها..  
غيبَةٌ ونميمةٌ كما في بلادنا بالضبط..  
-القلّة هنا أمسكت علمها وأخلاقها فخرجت مستقلة لا تُقلد  
سلفها بسذاجة ولا تنسخ مهجرها بغباء!  
-الوضع في دبي ليس أفضل حالًا.. فمع كون المكان يشع  
بالحضارة المعمارية والاقتصادية، لكن المجتمع ما زال في  
حاجة إلى صحوة كتاب.. أو كما تقول عليا: صحوة طب نفسي!

-بغض النظر عمّا تقولين.. فإنني أعتقد أنه إذا ما استمرت  
الحكومة الإماراتية في صرف أموال النفط على تطوير البلاد..  
لن يصبح لهذا المكان الجميل منافس في العالم.. أما إن استلم



المتزمتون زمام الأمور، فستذهب البلاد في طريق العراق.. ما حال عملك هناك؟

-العمل غير عملٍ.. لا يشبه لبنانَ مطلقًا، أعمل بشكلٍ جديّ كل يوم لمدة تسع ساعات.. عندي يوم عطلة واحد.. الجمعة.. فيما عدا ذلك أنا أقابل المرضى.. من كل الجنسيات.. أستخدم اللغة الإنكليزية.. أحسّ نفسي في حلم جميل بأنني سأحصد نتيجة تعبتي في آخر الشهر، وعلى الرغم من غلاء الأسعار في دبي، فإن الحياة جميلة!  
سألت نيل:

-ليس لديكم غيبة ونميمة...؟  
وأجابت غاردي مع ضحكة: -هذا في كل مكان...

غاردي هو اختصار لغاردينيا و غاردينيا صديقة مشتركة لنيل وأمنية.. عاشت جارةً لهما في أمريكا مع زوجها وطفلتين.. عاشت مرارة الزواج غير الناجح كما أمنية، لكنها كانت أشجع منها..

ذهبت إلى دبي في رحلة ولم ترجع.. طلقت زوجها في ليلة لا قمر فيها.. سرت الشائعات الكثيرة حول طلاقها، لكن طبيبة العيون كانت أكبر من كل كلام الجوعى.. احتضنت طفلتيها وعملت بجد...

زوجها سافر إلى ولاية أخرى، ويحكى أنه تزوج من امرأة

شبه أمية- فلا قدرة له على محاولة ترويض مزيد من المتعلمات-.. أما غاردينيا فتأتي لزيارتنا مع كل مؤتمر تحضره في أمريكا...

غاردي جد ممتنة لدولة الإمارات.. تنام وتقوم على شكر الحكام فيها، في نفس الوقت ومع كل تفجير يحصل في الشرق.. تمسك قلبها في يدها وفيه طفلتها.

حكّت لنا اليوم عن تفاصيل طلاقها.. وكيف أنّ الشعور بالذنب هو الشعور القاتل المميت الذي يحاول الأزواج التخلص منه عندما يخونون، وهو نفسه الذي يجعلهم يخلقون مبررات لخياناتهم، ويرمون أطفالهم من أجل نزوات جنسية..

-هذا الشعور الخائب.. ينعكس على الزوجات بصورة سلبية.. بشكل إحساس ذنب آخر غبي لكنه قاتل؛ بأنني "أنا السبب في خيانة أو سفالة زوجي" ..

هذا ما يجعل الزوجات بدينيات سمجات أو سلعاً متشابهاً يخضعن لذات عمليات التجميل والنفخ...

وبدلاً من أن تتحرك كرامتهن، فيقفن بثبات وإيمان ضد ظلم الزوج، كذبه، وضد كبيرة الزنا.. ولا اختلاف في كون الزنا من الكبائر.. نجد الزوجة قد تحوّلت إلى كائن مكتئب عليل.. أو كائن تافه بكثير من البهرجة.. أنا اخترت أن أحترم نفسي.

في ذلك اليوم الجميل وصلتني رسالة سمسار العقارات:  
-لم ينجح شراء البيت.. اختلف أصحابه مع المشتري الذي أراد  
أن ينزل السعر أكثر لضمان تصليحات مميزة.. هل ما زلت  
مهتمة به؟

جداً.. هل سيقبلون السعر..

- ألن تزيدينه؟

قلت وفي مخيلتي صورة طائر الطنان:

-لا، نفس السعر الذي عرضته سابقاً..

سأتصل بهم وأخبرك...

ابتسمت بثقة.. ليس لكون حاستي السادسة قوية وما زالت  
تعمل، بل لكون طائر الطنان أوصل لي رسالة.. وأنا صدقته...

\*\*\*\*\*

الشوارع في العراق أجمل منها في أي مكان آخر.. لأنها تسير  
إلى منتصف قلبك.. فإن كنت من أتباع شاعرة ما.. ستسري  
الكلمات في دمك.. هذا حال أهل العلم والشعر في العراق..  
تسري دماء الكلام في دمهم...

قالوا له أن هبة في السجن، والتهمة: ازدرأ أديان.

بكي وهو يتذكر غناءها الأخير:

كان يا ما كان.. يا سادة يا كرام دينٌ جميلٌ وبعض من التيجان!

قرر التاج الأول لبس الدين، فكان واسعاً عليه.. قصته من اليسار..

قرر التاج الثاني لبس الدين فكان ضيقاً عليه.. وسعته من اليمين..

قرر التاج الثالث لبس الدين.. وجده قصيراً فوضع عليه (شقفة أحاديث)..

والتاج الرابع وجده طويلاً فأحرق تفاصيله..  
والخامس.. والسادس.. والمئة والمليون...

وبقي من الدين قطعة صغيرة.. تنافس الساسة في الإتجار بها.. التسويق لمكانها..

بينما استخدمها العقلاء شاهداً على وجوب استخدام العقل..

كان يا ما كان.. يا سادة يا كرام دينٌ جميلٌ وبعض تيجان!  
لنعيد الدين.. نحتاج ثورة على أكاذيب الجنان وظلم التيجان...

قالوا لها في التحقيق: تحرضين على الثورة يا سافرة!  
خسنت.. ضربوها وأذلوها...

في اليوم الأول رأت أنها قويّة.. طالما هم يخافون من كلماتها  
كل هذا الخوف.. لكن مع الحرمان من النوم، الضرب.. الجوع..  
بدأت تحس أنها منكسرة وحزينة..  
تذكرت تلك القطة التي أنقذتها يوماً في ليلة بغدادية ماطرة..  
تذكرت نظرة ذعرها وقلّة حيلتها.. ورأت فيها مرآة حالها..  
قاتلهم الله.. إن لم يكن في كل هذا بدء ثورة.. فأين تعيش  
كرامات العراقيين؟

احتضنت قطة مخيلتها:

- ستعيشين..

قالت لها.. ونامت.



## ٩- إسرائئيل والقضايا العالقة

مباركُ البيت.  
بارك الله في عمرك وأحلامك.  
صدقت حاستك السادسة من جديد يا عليا...  
صدقت حاستك السادسة أنت.. وصدق طائر الطنان.. وشكرًا  
لكنّ جميعًا يا أخواتي على قبول الدعوة.. إن شاء الله المرة  
القادمة في البيت بعد ترميمه وإصلاحه...

أكلنا (شاورما) سوريّة النكهة.. وما أطيب من (الشاورما)  
السوريّة!  
هذا المحلّ لأحد السوريين المغتربين منذ الثمانينات.. كان  
اسمه: "لتكن أحلامك كبيرة" .. ثم تغيّر الحلم بعد الحرب إلى  
"سوريا بلا حدود" ...  
سمعته ممتازة في الولاية لنظافته، نزاهة أصحابه.. وطيب  
طعامه...  
منظرنا كان جميلًا:

نيل بحجابها وثيابها الملونة المتفائلة، غاردينيا بثياب أقل ما



يقال عنها أنها كلاسيكية فارهة، أمنية بالعبادة والحجاب  
الاعتباطي.. وأنا ببذلة الطبيب الزرقاء وشعري المصفور..  
الدنيا عيد.. لم لا نحلم بغدٍ لا يغادر فيه الشباب أوطانهم؟

وكتبتُ في يوم العيد:  
لا تعتقد بتميزك لأن ذلك سيجعل منك كائنًا فوق الناس، ومن  
هو فوق الناس لا يستطيع أن يكتب لهم..  
جنون العظمة سيحطّمك إذا ما فشلت..  
سيحولك إلى وحش نرجسي إذا ما نُقِدت.. وسيبعدك عن طعم  
الجوع!

البيت الذي اشتريته يشبه الخرابة.. كم من الوقت والجهد  
يلزمني لتصليحه وجعله بيتي؟  
في رحلتي للعثور على ورشة بناء لتصليحه شاهدت كثيرًا من  
النماذج البشريّة.. وأعطوني أرقامًا متباينة.. وكلّما قلت  
لأحدهم أنني أريد أن أهد حيطانًا فيتسع المطبخ ويتحول الحائط  
بين غرفة الجلوس والحديقة إلى باب بلوريّ كبير.. يزيد من  
السعر إلى درجة تقلقل حلمي...  
حتى دلني طبيب لبناني صادق وصديق على ورشة  
"خوسيه": عمّال مكسيكيو الأصل.. أراني صور عملهم في  
السابق...

وكان الأمر: خوسيه من الذكاء، بأن يجيبك بكلمة: "نحاول"  
على كل طلباتك.. ثم يحاول تغييرها بحكمة خبير.. أحببت حبه  
لعمله.. ووقعت عقداً معه...

هذا البيت سيكون وطني الصغير، وسأحاول قدر الإمكان جعله  
يشبهني.. ببساطته وقدرته على منح النفوس راحة البوح...

\*\*\*\*\*

“ما زال الحزن يطاردني كغيمة صيفية.. لا هي تمطر ولا تقبل  
أن تغطي الشمس..

أصوات من رحلوا تمنعني من الكلام، فأعيد في ذاكرتي نغمة  
حزينة لأحبة ذهبوا وأغلقوا من خلفهم (ببياناً) للعتمة..  
وما يحرق القلب ليس هم.. بل من بقوا في المكان بجسدهم  
فقط.. صاروا أناساً آخرين.. أشباح لمن عرفناهم..  
أهذا ما يحدث عندما ترضى السماء عليك وتحقق دعائك بأن  
يحفظهم الله.. يحفظهم بنسخ أخرى.. نسخ تجلد الذاكرة.. نسخ  
لا تشبهنا ولا تشبههم...”.

كان لبكاء هبة على الورقة صوت حزين.. يشبه مطر تشرين  
على شعر طفلة لا أهل لها.. لا تباع الكبريت، بل تمسح  
الأحذية..

لا تعرف البرد لأنه ترف.. بل تعرف ركلة تلقتها من ذكر في

الخمسينيات.. قرر أنه لن يدفع لطفلة لا حامياً لها...

هبة بعد خروجها من السجن صارت تلك الطفلة.. ليس من  
حقها الحلم حتى في غرفة صغيرة مستقرة المكان...  
كلّ يوم قبل أن تنام تسمع وقع خطوات السّجان.. وصوت  
ضحكاتٍ غريبة لا تشبه صوت الطيبة العراقي..  
وعلى الرغم من أنهم قالوا إنهم عراقيون.. كانت متأكدة أنّ  
سموم العراق هي من أنجبتهم.

لفّ الاكتئاب هبة.. وصارت أخرى...

حاول عمّار الاتصال بها كثيراً، ولكنها لم ترد.. هي تخجل من  
انكسارها أمامه.. ما تقول له.. وهي الأخرى انضمت إلى جيل  
الهزيمة.

قرأت قصص الأطفال وبالتحديد كل ما كتبه الدنماركي المبدع  
هانس كريستيان أندرسن:  
قرأت له: بائعة الكبريت، ملكة الثلج، فرخ البط القبيح، حورية  
الماء الصغيرة وعقلة الإصبع...  
وكان لتلك الكتب أثرٌ ربت على كتف انكساراتها بأمل...

\*\*\*\*\*

في نفس الزمان وغير المكان ضاعت عبير في شوارع لبنان..  
لم تعرف كيف أوصلتها قدماها إلى زقاق ضيق فيه محلّ صغير  
يبيع الفلافل.. أحست نفسها في سوريا، وابتسمت أكثر عندما  
كان البائع سورياً: قالت له:

- لا تسألني من أين أنت في سوريا وإلا لن أشتري.. ثم  
ابتسمت...

- الله يحميك من أي مكان كنتِ يا بنتي...

غصت بالدموع قبل أن ترد:

- الله يجبرك...

مضت وهي تحس أن جبرانه لخاطرها أضاء الطريق،  
وستستطيع الوصول إلى مواعدها مع ديار...

جبران الخواطر عند السوريين وعند جميع العرب دعوة من  
القلب، لأننا جميعًا بخاطر مكسور..  
كسرتة الأمانى المعلقة على جدران نوافذ لأمهاتنا، أو  
أحلامنا..

كسرتة كسرتنا عندما كان خيارنا بين البقاء في حضن الأم أو  
الحاق بالحلم..

وعندما تهشم هذا الخاطر، رحنا نبحت في قلوب الآخرين عن عائلة أخرى، وأحلام أجمل...

كل المنطقة مكسورة الخاطر من المحيط إلى الخليج، في حين استغلت اللحى ذلك لتتشر التطرف الديني.. بعد الحروب ومع استفحال الفقر والذل ازداد إحساس كثير من مكسوري الخاطر بالعجز.. ولم يعد لهم سوى الدين ليلجؤوا إليه، ولشدة الضعف الإنساني أرادوا أن يحسوا بقوتهم وبأن لوجودهم قيمة فتحولوا إلى متطرفين في الدفاع عن الدين.. وهكذا صار الدين صنماً غير قابل لحوار العقل...

قال لها ديار: - أنت تتوقعين أن تهدأ الأوضاع.. وأنا أقول لك انظري إلى العراق...

وبالمناسبة سألت عن عمل.. ومن الممكن فعلاً.. لأن كثيراً من العقول المتعلمة هجرت العراق، وثمة حاجة إلى كوادر جديدة.. هذا ما قالوه.. تخيلي.. تخيلي أن دول العرب تبذع في (تطفيش) عقولها.. ثم تعاني نقص الكوادر...

وهي أعطته قسماً من لفة الفلافل: - أذهبُ معك إذا.. الله يجبر خاطرك...

\*\*\*\*\*

رسائل تعبر المحيطات، وتتحدى العلاقات غير الدبلوماسية  
بين بلاد العم سام وسوريا الياسمين...  
كيف لي أن أنام وهو بكل قلبه يسكن في مدينة حدودية.. تقع  
بين كتيبة ابن تيمية ورصاص داعش..  
كيف خطر في باله أن يسكن هناك.. ماذا يريد هذا الانفعالي؟  
رصاصه في القلب.. لن تقتله.. بل ستميتني...

لم يحظ عليّ بصدفة لقاء ياسمين.. التي انتهت قرباناً قدمه  
صمت الكثيرين إلى داعش...

لكنه استطاع تبني طفلين آخرين: عمّر أربع سنوات.. وطفلة  
أخرى عمرها ست سنوات أطلقوا عليها اسم رقة.. تيمناً  
بمدينة الرقة السورية التي رزحت تحت أيدي وأحذية داعش...

قُتل أهل الطفلين.. وكانا في عداد مئات الأيتام الذين خلفتهم  
الحرب...  
ناديا عليّ "أبي" من اليوم الثاني للقائهم...

كتب لي أنه أصبح أبًا قبل أن يفكر بحجم المسؤولية التي تنتظره.. ثم أخبرني أنه يحاول السفر إلى أهل أمه في العراق.. لأن الشمال السوري تحت خط النار... قال لي أنه متفائل في مستقبل العراق، وأنه يؤيدني في اعتقادي أن العراق أبو بلاد العرب كلها.. وأن مصر أهم.. فإن صار هذان البلدان بخير الخير.. أصبح الجميع بألف خير...

فيما أفكر به ظهر على نافذة المحادثة سطره:  
- مساء الصباح.. فعندكم ليل وعندنا نهار.. هل هناك من كناية إلهية في هذا؟  
- مساء الكنايات.. أين كنت من خمسة أيام؟  
- أتظاهر...

- تمزح؟  
- لا فعلاً..  
- احك لي ما حدث  
- خرجت مظاهرة ضد داعش وخرجت معها.. ثم أتى المتطرفون، ففضوها.. وبعدها صار الجميع يهتف ضد إسرائيل، حتى قرر أحدهم أن يهتف ضد النظام.. انقسم الناس بين موالٍ ومعارض لإسرائيل..  
ما حدث لا يمكنك تخيله ولو كنت أشطر كاتبة على وجه الأرض...  
- وما الغريب في ذلك؟ هذا متوقع..  
- هذا غير صحيح.. ربما كنت من القلائل الذين لم يدهشوا من

الصراع السوري / السوري حول فكرة إسرائيل.. ربما لو ارتفع العلم الإسرائيلي على هذه الأرض لما حدث كلّ هذا.. لا أعرف...

بعت القضية؟ لم أقصد ذلك.. قصدت أنه لا أحد (مدعوش).. الناس - في أغلبهم - بين مدعوس.. مدعوم و(مدعوش: من داعش..)

لم أدهش لأنني غير متطرفة.. أرى الصورة بكلّها وليس بما اقتطعت أناي منها..

-لا أبيع القضية التي تقصديها ولو مت.. فلسطين لنا ولو بعد مئة عام.. القضايا اليوم أخرى ومختلفة..  
عمومًا.. معك حق.. الله يستر.. الكره في سوريا يحتلّ الأرض والسماء..

تراب الأرض فيه ما فيه.. لكن صلبه من الأجساد الشهيدة..  
المغيبة.. البريئة.. الحاملة.. الطاهرة.. المسحوقة.. المقموعة..  
والمرفوضة..

هكذا أرض.. لن تقبل السلام ولا الصلح...  
يجب أن أغادر إلى العراق.. في بغداد أصدقاء قدامى.. طيبون وبسطاء.. آخر مرة كلمت أحدهم كانت منذ أربع سنوات، لكن لا أعتقد أنهم سيعارضون مساعدتي، بل على العكس...  
لماذا لا تلجأ إلى أقاربك في سوريا..

-لم يبق منهم أحد..  
ما تقصد؟



- قسم في الجيش.. قسم في المغرب.. قسم استشهد وقسم  
سكن السماء...  
-ماذا عن أخواتك؟  
-هدى لا تزال في ألمانيا.. لا تكلمني...  
حياة وماجدة في الكويت.. وليس في ذهني السكن هناك.. أقلها  
الآن...

بعدها انقطع الاتصال مع علي، ربما سوء شبكات (الإنترنت)  
بسبب الحرب.. لن أفكر في السيء..  
يقولون: يقلق الإنسان كل حياته على ما لن يحدث، فتلحقه  
مصائب أخرى بسبب القلق.

كتبتُ قبل أن أنام:  
معهُ حق، هكذا أرض.. لن تقبل السلام ولا الصلح.. والسماء  
التي ازدحمت بأحلام الشباب المتلاطمة.. لن ترى الدعاء...  
أنظر كل يوم إلى وطني وقد نهشه سرطان الكراهية، سرطان  
بانذار سرطانات البنكرياس سيئة السمعة.. أسأل نفسي: لم  
حقّ علينا هجر الأوطان من قبل السرطان.. ثم العودة إليها  
بعده؟

لم أعلم أن سرطان الأوطان ينتقل إلينا بالعاطفة..  
أجل الصراع السوري/ السوري لا يحتمل نظريات الصح  
والخطأ.. الحلال والحرام.. هو صراع مرضى سرطان إنذارهم  
سيء و غدهم محكوم بالحد.

معه حق.. نحن نحتاج غير المتطرفين من الحكماء.. من يعلمون أن القضية ما عادت قضية فلسطين لوحدها.. ولا قضية بقاء إسرائيل أو زوالها.. القضية اليوم لا تختصر بدول مسرح الشرق الأوسط.. بل تمتد وتطول على طول الكرة الأرضية وقطرها.. القضية وإن استخدمت أحلامي وأحلامك كموسيقى تصويرية.. ليس لنا فيها إلا الصدى.. هي تختال بمخرجين ومؤلفين في غرب الأزمات الاقتصادية.. وخليج النفط والغاز...

الحكماء.. اليوم من يعرفون أن التعصب الديني والقمع العسكري هم أعداء القضية.. ولا عودة لأي مكان في الشرق دون السماح لصوت العلمانيين بالارتفاع...

العلمانيون: من يفصلون الدين عن الدولة.. من يطالبون بحق التعبير قبل حق تقرير المصير هم الأمل. كيف نطالب بالأرض ونحن نُخرسُ صوت القلم الذي لا يقبل المؤخرات؟

كيف يتطور مجتمع لا معارضة عقلانية فيه؟ كيف تتطور بلاد قسم من شبابها بين المقاهي وخطب الجمعة الداعية إلى التطرف... وقسم آخر بين السجون والغربة بسبب رأي؟

ماذا نريد من الغد؟  
(البعبعة) بأننا لن نبيع القضية؟  
أو حلّ القضايا التي تنهش في لحم أولادنا؟

الحكماء.. فقط.. غير المتطرفين فقط.. الرماديون فقط هم الأمل  
وسيبشروا بالشفاء، أما غيرهم، فعابرون!

إلى حملة الأعلام.. بجميع أنواعهم: عليكم أن تختاروا:

بين دعاء أم تكلى على أولادكم.. و دعاء طفل يتيم لوطنكم...

بين (القلقلة) للحاكم.. و الوقوف في صف من قطع الفساد-  
قبل الحرب- أحلامهم...

بين رنّ أجراس أعناق قطعان المعارضة الرخيصة وبيع  
وطنكم.. و تحرير أقدام شبابكم من أغلال التزمت الديني...

ليس في قبول التزمت حل.. وليس الحل في حض الناس على  
ترك دينهم..

يجب أن تختاروا:

إمّا أن تعلنوها حرباً على البسطاء والفقراء.. على من  
يعتقدون في الدين نجاة لهم..

أو أن تستخدموا عقولكم، وتساعدوهم في استخدام عقولهم..

الحرب اليوم: حرب أفكار.. والفضاء الافتراضي هو الشاهد  
(الذي لم يرَ شيئاً) ...



١٠ - من المكان الذي ينظر منه الله...

عندما اقتربت الحرب مني للمرة الأولى، كان الموقف مهولاً..  
أحسست نفسي على سفينة في وسط محيط هائج ممتلئ  
بالجثث الميتة.. تطاردني وتطلب مني سبباً:  
لِمَ بقيت أنت هنا فيما أكل القرش يدي؟  
كيف تقبلين حياتك وطفلي خرج ولم يعد؟  
ما الذي دفعته قرباناً؟ أنا دفعتُ عيني!  
أُسمينَ الغربةَ كربة؟ أنا أسمى الوطنَ المقسّمَ غربة؟

من وقتها والأيام تمضي متشابهة.. الجثث الطافية في الماء  
تقترب مني وتحاول لمسي.. وفيما أحاول الهرب إلى أيامي  
المتشابهات.. ظهر هو على طائرة ورقية..

عليّ آخر نمط للرجال تخيلت التعلق به.. سألني إن أردت هجر  
السفينة، ورؤية المكان من فوق..  
من فوق؟

-أجل، شاهدي الصورة كلها من فوق.. من المكان الذي ينظر  
منه الله..  
-استغفر الله!

-أفهميني، الله عادلٌ جداً.. أليس كذلك؟

قلتُ: نعم  
طيب.. أفهميني لماذا يحدث كلّ هذا الخراب؟ ما السبب وما  
الحكمة؟!  
-لا أعرف..  
تعالى وسأخبرك...

رحلتُ معه فوق الطائرة الورقيّة.. شاهدتُ البحر يبتعد  
ويصغر، ليصبح كأس ماء صغير ملأى بالجنث نقطاً رماديّة..  
قلت في نفسي: سنشرب هذا الماء يوماً..  
أجل.. ستتشكل أجسادنا من أجساد من رحلوا.. هم يقون هنا  
فينا.. في الروح ذكرى وفي الجسد حياة.

طرتُ فوق البلدان كلها.. سمعت أصوات بكاء.. ضحك..  
صراخ.. تهليلات فرح وأشجان حزن...  
سمعت غيبة.. نائمة.. سمعت تشجيعاً.. ثناء..  
طرت فوق أماكن الرقص.. دور العبادة.. المدارس  
والملاهي...  
طرت فوق المطارات، شاهدت الملايين يرحلون، والملايين  
يعودون..  
سمعت أولى صرخات المواليد.. وآخر كلمات الوصايا...  
كان المشهد كاملاً ومهيّباً.. وعندما التفت إلى الكتفين العاجيين  
لعليّ..  
لم يكن هناك.. واستيقظت.



\*\*\*\*\*

كانت نجمة الملاذ الوحيد لهبة بعد محنة سجنها، تزورها كل يوم.. لا تتطرق مطلقاً لما حدث ولا تسأل هبة أن تفعل أي شيء...

تأتي كل مساء بعد عملها، تنظف البيت، تطبخ، وتطلب من هبة أن تأكل معها..

-ليس لدي أي شهية..

-لا تحبّين طبخي، ها..

وتأكل هبة.. ثم تنظّ نجمة وتملأ المكان باللهجة التونسية المحببة:

-عندما تريدین مترجمًا أخبريني...

فتبتسم هبة في امتنان...

الحقيقة هبة لم تكن تسمع أكثر من عشرة بالمئة من كلام نجمة.. كان عقلها ما زال مستباحًا بوقع خطوات السجان، وسؤال مؤلم: لماذا؟

بعد حوالي شهرين، صارت هبة أكثر استماعًا لنجمة.. وفي مساء يوم نيساني سألتها:

نجمة، أريد أن أزور تونس.. أتأخذيني؟

ترددت نجمة قليلاً: -آخذك.. لكن في المستقبل.. كنت أفكر في زيارة لأم الدنيا.. ما رأيك؟

-مصر؟  
-أجل مصر..  
-أذهب.. متى؟  
-في أسرع ما يمكن...  
-ما رأيك أن تكتبي في انتظار إعدادي للسفر..  
-أكتب...

فكرت هبة لماذا لا تكتب كتبًا للأطفال مثل الدنماركي هانس كريستيان أندرسن؟  
لماذا لا تفتح دار نشر للأطفال العراقيين.. أملنا.. لماذا لا تمنح الأمل للأطفال، إن كان لمنحه للكبار ثمنٍ غالٍ جدًا في بلاد الرعب هذه...  
هي تحتاج نصيحة من دار نشر واعدة في مصر.. عرفت صاحبها عن طريق الفضاء الافتراضي.. لذلك عندما اقترحت نجمة زيارة مصر، وللمرة الأولى بعد تجربة السجن المريرة.. تنفست هبة أملًا...

خرجت نجمة في ذلك اليوم سعيدة جدًا، فهبة التي نبذتها الغالبية في محنتها وسكنها الاكتئاب كجنّ لا يرحم تُشفى وتريد السفر..

تذكرت مقولة مشهورة- كل إنسان في هذه الحياة يحارب في معركة مؤلمة، فلا تتسبب في قتله.. وبكت.. السماء في العراق تعلم معاركنا جميعًا.. وإن نسينا أن نستمر نهلك.

على زاوية الطريق شاهدت فتاتين..

قالت إحداهما:

-ممكن أن تأخذي لنا صورة...-

أجابت نجمة: طبعًا..

ابتسمت الفتيات للصورة.. في ابتسامتهما سكن العراق

للحظة...-

-ليتني أستطيع أخذها إلى تونس.. ليت أهلي كانوا أهلاً، ولم

أضطر للهرب.. يا رب ساعدنا...-

\*\*\*\*\*

عندما قالوا لـ“علي” أن المناطق كلها (تعفّشت) لم يعرف ماذا

يعني هذا، كان في قلبه قليل الأمل حول غد لا يخنق الحقد

مستقبل أطفاله..

لكن بعد ما حدث من سرقة بيوت (تعفّيش) من قبل المحسوبين

على الموالاتة وخطف سبايا (غنائم حرب) من قبل المحسوبين

على المعارضة.. لم يعد من مجال للشك بأن البلد فتحت باب

جهنم الأرضية...-

جهنم هذه لا تشبه النار في شيء.. بل تقتلك دون أن تمسك:  
تقتل مستقبل أطفالك، تقتل أمان أحلامك.. تقتل قدرتك وجارك  
على مشاركة الوجد، ومن لا تشارك معه الوجد يصبح في  
أحسن الأحوال عدوًا.

كانت سوريا بالنسبة لـ"علي" أمه وأبيه، كتب لي في ذلك  
اليوم:

"الوطن أغلى في قلب اليتامى، لذلك نقبر أحببتنا في أرضه..  
أحس أنني يتيم جدًا وبلا وطن".

متى ترجع؟

حتى أحضر ياسمين أخرى.. أو ربما هي نفسها.. المهم طفلة  
في السابعة قالوا لي أن اسمها ياسمين.. ربما بعد أن علموا  
أنني أبحث عن ياسمين.. وأن داعش أخذتها..

المهم أن هذه الطفلة المسكينة -مهما كان اسمها- تنتقل بين  
بيت وآخر، لم يبق لها أحد..

ومتى تحضرها؟

حتى أدخل حدود إمارة "أبو ثعلبة التغلبي"...

تمزح بالاسم ها؟

-لا، هذا اسمه، أصله أردني، لكن قرر الجهاد من هنا وتخليص  
الأمة الإسلامية...

-إذا تمزح في محاولتك دخول إمارته.. ها؟!!

-لا، لا أمزح، أربي لحيتي وقريبًا سأظهر لك "أبو قهار  
الإدلبي"...

-ما هذا الاسم، بالله تتكلم جد؟  
-طبعا، وهل تتخيلين أن أدخل باسم نتشه أو حتى علي؟  
-لا أريدك أن تدخل الإمارة أبداً، هل تعرف ماذا يعني أن  
يمسوك؟

-ههه.. لا أريد أن أعرف..  
ثم أرسل لي وجهًا ضاحكًا...  
-أنتِ خفتِ من هجومك على المسلمين، هل هددوكِ؟  
-تقصد هجومي على المتأسلمين ونقدي للمسلمين؟  
-ما الفرق؟

-كبير.. النقد هو تسليط الضوء الواعي على الأخطاء، لكونك  
تريد التغيير للأفضل.. الهجوم هو سلاحنا في مواجهة الذئاب  
إذا ما هاجمتنا.. وأنت تعلم أنه ما من عقل لها.  
عندما يهاجم المثقف المولود في بيئة مسلمة الإسلام ككل،  
ويعتبر المسلمين كلهم إرهابيين، فلماذا يكتب؟  
-لم أفهمك؟

-أقصد إن كنت أنت كـمـثـقـف مولود في بيئة مسلمة، تهاجم كل  
المسلمين، فأنت تهمل من يشبهك بين المسلمين أولاً، ثانياً؛  
كيف سيكون كلامك مسموعاً بينهم وأنت تدمغهم بما ليس  
فيهم؟ إن أردت التغيير فالموعظة والكلمة الحسنى.  
-سأخذك معي إلى إمارة "التغلي" .. حجتك بالغة...

\*\*\*\*\*

طاردني حلم الطائرة الورقية وتدايعات السفن الأخرى لشهور  
بعدها.. وفيما كانت أخبار الدمار السوري تحتل الأخبار  
الغريبة.. كنت أفكر في سؤاله:

طيب.. أفهميني لماذا يحدث كل هذا الخراب، ما السبب وما  
الحكمة؟

مع حق: ما السبب في كوننا نصف وأنصاف؟ في كوننا بلا  
أمان وطن.. في كوننا نطلب حقوقنا تسوؤلاً؟

لماذا نحن خسرنا الحرب؟

كلنا.. كلنا..

بجميع أطياننا السياسيّة، الدينيّة.. الاجتماعيّة كلنا خسرنا  
الحرب..

أي نصر ونحن نتحول إلى أرقام في سفنٍ محيطٍ هائج مليءٍ  
بالجثث؟!!

ما السبب وما الحكمة؟

أما السبب فلا أعرفه تمامًا؛ ربما الظلم.. ربما الغلّ.. الطائفية..  
استخدام الساسة لأصحاب القداسة.. تفضيل أصحاب الجيوب  
على أصحاب القلوب...  
وأما الحكمة:

عندما تخلو البلاد من حرية التعبير، ويصبح التفكير حراماً..  
يتغلغل الكره في قلوب الناس ويصبح التكفير ديناً والدين  
غربة..



١١ - كيف يتنزل القرآن على شعوب لا تفهم في الكناية؟



لا يسكن الله الحجارة، بل يسكن قلوب الذهب..  
والذهب ناسٌ أفضلنا:  
صنعهم الفقر..  
ذلهم الظلم..  
همّشتهم التيجان..  
اغتصبت اللحي أحلامهم...  
الذهبُ أهل بيت الله الكبير.. لا المقيد بالنسب..  
تحج القلة إليهم.. وتسمع الندرة صوت الله فيهم..  
بينما الغالبية تتبع الموروث والتقليد..  
وتدفع المال لتطوف بالحجر العتيد...  
لو أن محمدًا عاش من جديد..  
لأحرق ثمانن أصنامكم.. وباع ما تسمونه فرش بيوت الله ليسد  
عورات أوكاركم...

في لمحات بسيطة من هذه الحياة يكمن السرّ كلّه:  
في سرقة أحذية المصلين..

في اغتصاب سائحات أجنبيات..  
في قطع رأس امرأة تجرأت على أعمال العقل..  
في خسارة صديق لخلاف سياسي..  
في الهجرة بحثًا عن وطن، في حاجتك لغريب يخدمك.. في  
إحياء الذكريات..  
في إعادة بعث القصص القديمة...  
في الموت.. في الحب..  
في القسوة.. في اللين..  
في الإيمان.. في الإيمان...

في لمحات بسيطة ترى الوجه الكامل للحقيقة، والحقيقة لا  
تريك وجهها الكامل إلا إن لسعتك...

تستخدمين الكناية؟

نحن شعوب الكناية.. لا أعرف لما تحولنا إلى (النكايه) والغلّ.  
\*\*\*\*\*

في زمن التكفير أصبح التفكير محرّمًا على العقل البشري،  
وتوسعت مجالات النصب باسم الله حتى ملأت مستقبل البسطاء  
بالإرهاب، فأصبح شبابنا مسكونًا بهاجس الجنس، وأمسى  
تطورنا حلمًا خاضعًا لرقابة اللحى.

رُدَّ العرب إلى أرذل العمر، فانتشر التحرش.. الاغتصاب.. حز  
الأعناق.. استحواذ ملكات اليمين.. واستشرت العلاقات  
المحرمة، المشبوهة.. الصفيقة والمبتذلة..  
وواسم العصر هو الاستتار لا التقوى...

في ظلّ هذا كلّه وغيره، ظهر من يحرم الكنايات على الكتاب  
وأصحاب القلم!  
ونسي (المسلمون) أن كتابهم قائم على الكنايات، وأنه تنزل  
على العرب لكون اللغة العربية تتحمل وتتجمل بالكناية  
والاستعارة.. هذا غيض من فيض انتشار الجهل، وهذا أيضاً  
مفسرٌ عظيم لما حدث من تحليلات داعشيّة وتأويلات متأسلمة  
للقرآن الكريم.

إن أراد العرب النجاة، فعليهم اللجوء للعلماء الحقيقيين..  
منهم: هؤلاء الذين درسوا اللغة العربية وتعمقوا في فنّ الكناية  
والاستعارة.. عندها فقط سيرجع الدين إلى ضمير وعقل  
شبابنا، بدلاً عن كونه موروثاً غير قابل للجدل.

انقطعت أخبار عليّ لأيام.. وأصبحت ذكرياته أكبر من قدرتي  
على الأمل..

في صباح عطلة.. كان بيتي الجديد بشبابيك كبيرة وواسعة..  
نظرت إلى خوسيه:

شكرًا، أنت موهوب...

فأطرق خجلًا: شكرًا دكتورة.. أجايني بانكليزية (مكسرة)...

لم يبقَ علينا إلا الأرضية والمطبخ...

-أما المطبخ فأريده أبيض، شباكه الكبير يطل على الحديقة، ويشتركان معًا بمسند حجري سنضع له رخامًا فيصبح طاولة.. هكذا تمتد رخامية الحوض في المطبخ إلى الحديقة..

ممكن أن تشرحي لي قليلًا.. لا أظني فهمت كيف تريدين الحائط؟

نحوّل الحائط العلوي بين المطبخ والحديقة إلى شباك كبير يفتح كاملًا.. بينما رخامية الحوض في المطبخ المظلة على هذا الشباك تشبه طاولة ممتدة من المطبخ إلى الحديقة.. يجلس الأصدقاء في الداخل أو الخارج حسب رغبتهم.. لكن طاولتهم الرخامية واحدة.. ويصبح توصيل الطعام أو إرجاعه للمطبخ أسهل...

-الشباك المفصلي الكبير سيساعد في ذلك.. يعني رخامية المطبخ بجوار المغسلة تمتد إلى ما وراء الشباك.. إلى الحديقة.. فهمت...

-أجل خوسيه.. أنت موهوب وهذا سيكون سهلًا عليك...

فيما أكلّم خوسيه.. وصلني طلب صداقة من “أبو قهار  
الإدليبي”.. تذكرتُ أنّ عليّ طرح الاسم ليستخدمه في الإمارة  
التي قرر أن يدخلها...

عدت إلى المنزل بسرعة.. ودخلت الصفحة.. رأيته خالية  
تمامًا.. الحساب جديد.. هذا هو السوريّ في الأغلب...

قبلت الطلب.. وانتظرت ساعتين قبل أن تصل رسالته باللغة  
الإنكليزية:

-أغادر غدًا إلى أرض حمزة.. معي ثلاثة أحلام...

ثم تمّ حذف الحساب...

\*\*\*\*\*

هبة التي تدين لنجمة بالكثير.. رأت أن من مصلحتهما السكن  
معًا.. هكذا انتشر الأمان في هواء الغرفة، وتقلّصت الذكريات  
التعيّسة..

لا منزل كبير ولا حتى صغير لهبة.. أملها في منزل في هذه  
البلاد يشبه أمل الوحدة العربيّة..

عندها غرفة.. ثم غرفتين.. وتبديل دائم للسكن كي لا تصل  
إليها يد الظلّمة... أي عدل هذا الذي يحيط بمنازل مهاجر حتى  
نقطنها؟

ومع هذا وذاك هبة عادت إلى الحياة.. ورجعت لتضيء سماء  
عَمَّار بنقاشاتها.. ولتملأ المساءات البغدادية بالطمأنينة..

- كان ذكياً جداً من اخترع التقويم.. البشر في طبعهم يملّون،  
في غالبهم ينسون، وفي معظمهم يحتاجون بدايات وهمية  
جديدة.

- كما أنّ القلة القليلة تعرف أن البداية تحدث كل صباح، ومع  
كل شروق شمس، كذلك قلة تحفظ المعروف ولا تنتكر لمن  
ساعد وساند، الندرة تتذكرك في محنتك وتحفظ أسرارك في  
غيبتك.

- الموضوع أكثر تعقيداً من ذلك.. انظر إلى البشر من حولك..  
يلتمون حول بعضهم في الأفراح، وعندما يدقّ الناقوس  
الحقيقي للحاجة يغيّبون.. يخترع لآوعيتهم أسباباً.. فتجد  
المساعدة المادية حلم، والمعنوية منسية.

- أخالفك هنا.. تغيب غالبية الناس عندما تشعر بالضعف.. أو  
الاكتئاب.. أو في أحسن الأحوال الحزن والشدة.  
الإنسان الغائب إنسان يحتاجنا.. يحتاج الدعم والطمأنينة،  
وربما بسيط السؤال: هل تحتاجني؟ هذا السؤال هو "كل عام

وأنت بخير " الجملة الحقيقية لا الزائفة المكررة.. أما عن  
الملزومة الاجتماعية القائمة حالياً.. فالعراق إلى ثورة...

- هذا ما قصدته، الجملة الذهبية في العلاقات:  
لا أريدك سعيداً فقط، بل أرحب بحزنك قبل فرحك.. بضعفك  
قبل قوتك.. بطلباتك قبل هداياك.. أنا أعرف أنك إنسان لا  
ملاك.. أنا لستُ ملاكاً أيضاً. أخبرني عندما تحتاج إليّ.  
بالعودة إلى العام الجديد، لا تلغنه، فالصباحات تختلف  
باختلاف الأحلام.  
وأعيديك:

هل تحتاجني يا صديق؟ أبشر: العراق إلى ثورة...





١٢ - أرض الصُّدْف: من المكان الذي  
تنتظر فيه الشياطين...

أتخيلُ مكانَ كلِّ قبرٍ في هذه الحياة وفوق الرفات شجرة ما.. كم كانت المقابر ستبدو أجمل؟ كم ستصبح زيارة المقابر أشيع؟  
وكم كنا سنحظى بحضن من أحببنا من جديد!

في مراحل السرطان الأخيرة، تبدأ خلايا الجسم بالاستسلام التدريجي للخلايا السرطانية..  
تضعف المناعة حتى تتهاوى الحواجز ضد العوامل الممرضة أيضاً..

من الناس من لا يستسلم ويقاوم مستبسلاً، ونرى من حالات الشفاء ما يعجز الطب عن تفسيرها.. وفي حالات أخرى..  
يُستباح الجسم من قبل الأمراض، فتغادره الروح إلى مكان أفضل..

يومن كثيرون بكون المكان الآخر هو جسم حي آخر: إنسان، حيوان.. وردة.. أو شجرة!

تغيير ثقافة المقابر يخلق حيواتاً أفضل، تغيير التعامل البشري مع المقابر قد يدمغ ثقافة شعب بأكمله ويرفعنا من مصاف الشعوب المتخلفة بطرق عديدة...  
المقابر ليست فقط خارج أجسادنا، بل قد نحملها فينا أيضاً..

\*\*\*\*\*

خرج عمّار وهو لا يعرف إلى أين يذهب.. قلبه يبكي فيما يصرّ  
على منع عينيه من البكاء.. الناس في الطرقات الغربية  
مسرعون جداً، وهو ما زال يجرّ عربة قلبه جرّاً...

شخصه الطبيب بالاكْتئاب.. ضحك ببلاهة: يعني أنا مجنون..  
قال الطبيب: هذا كلام قديم، الاكْتئاب سببه نقص  
السيروتونين...

-السيرو؟ ماذا قلت...؟ هل تعني أنه يجب عليّ المسير؟  
-الطبيب ابتسم، بينما عمّار من يومها وهو يمشي.. قطع  
المدينة كلها:

مرّ بـدكان السّمّان أبو مازن، أدار وجهه حتى لا يسلمّ عليه،  
سمع صوته.. أستاذ عمّار، كل عام وأنت (تذكرنا)...  
حساب أبو مازن خمسون ألفاً.. هل تعرفون ما معنى الخمسين  
ألفاً؟

-خمسون ألف غصّة في اللقمة وقد غمّسها الذلّ...

مرّ بمنزل سعاد، وسعاد التي كررت قصص (الولايا) والحريم  
وتركته من أجل صديق حميم.. غادرت المنزل، وعلى أطلالها

سكنت بهيئة الراقصة التي رمت له بخلخالها مع رسالة  
حمراء.. المهم هو لم يدنس المكان.. هذا ما قاله لنفسه...

مرّ بسيارة مديره، ورآه فيها يقبل إحدى الموظفات.. لم تكن  
السكرتيرة-قال في نفسه- بعض الناس لا يقبلون السكرتيرة!

وصل إلى منعطف طريق، وفيه شاهد على إحدى الجهات  
جسراً موحياً بفكرة دميمة تدور في خاطره منذ زمن، فكرة  
بشعة بشعة.. كافرة.. مجرمة وقاتلة لمن حوله.. فكرة مهزومة  
وسامة.. أجل، فكر بالانتحار...

قال في نفسه: لم لا؟

ثم قرر أن يأخذ الجهة الثانية ليفكر في الأمر أكثر...

بدأت خطواته تتسارع في الجهة المعاكسة، يسأل نفسه: لماذا  
وجودي في هذي الحياة؟ كيف أتأقلم، لماذا تركتني تلك، لماذا  
غدرني ذاك.. لماذا فشلت.. لماذا لحقتني الفشل كظلّ مصباح  
كهربائي استخدم في التعذيب.. لماذا لم تحبني هبة وداست  
قلبي عبير..

عزم أنه ما من حلّ آخر.. الجسر الأبيض معلق في ذاكرته  
كوطن الآن.. قدماه تستعدان للعودة إليه.. فيما يد صغيرة

تسحبه من معطفه البنيّ..

-أريد ماما...

طفلة في الرابعة من عمرها، وجهها أسمر عراقي أصيل  
يختلط غسل جماله بعسل العينين البريئتين الخائفتين..  
ملابسها قديمة لكنها نظيفة...

-أين أمك يا صغيرة؟

في البيت.. ثم بدأت بالبكاء...

حمل عمّار الطفلة:

- لا تخافي أيتها الصغيرة، سنجد ماما اليوم...

\*\*\*\*\*

قالت له الطفلة أنّ اسمها: توتة.. ولم تعرف أكثر..  
حملها عمّار إلى قسم الشرطة في المنطقة.. قالوا له: اتركها -  
يعطيك العافية- نحن نتكفل بالأمر، لكنه لم يقبل.. انتظر معها  
ست ساعات.. اشترى لها (سندويشة جبنة) وسكاكر.. أطعمها  
ولم يتركها ولو ثانية..

ثم انتظر ساعتين، وكان على وشك الجدل مع الشرطة حول  
تركها معهم.. أراد أن يأخذها إلى بيت هبة.. عندما حضرت  
“بغداد”: امرأة في الثلاثينيات، نحيلة وشاحبة.. وبرغم  
جمالها يشع الحزن من وجهها كأمينة محققة.. شعرها أسود  
كثيف ومضفور... عيناها باكيتان.. فستانها أسود طويل، وفي

قدميها حذاءً قديم ذكوريّ الجلد والتصميم...  
احتضنت الطفلة وغرقتا معاً في البكاء...

شكرًا لك لإنقاذك "توتة" .. تيماء طفلتي.. سحبوها من يدي  
في سوق الخضار، بحثت كالمجنونة كل اليوم.. لقد أنقذتني  
كنت أفكر في القفز عن الجسر الأبيض الليلة..  
الجسر الأبيض؟ الليلة...

توقف قلب وعقل عمّار لأجزاء الثانية.. لا يمكن أن يكون ما  
يحدث حقيقة.. هذا يشبه فلمًا هنديًا أو عربيًا سيء الإخراج..  
كان قد فقد إيمانه بالغيبيات والأرواح من زمن.. وقف مندهشًا  
فاغترًا فاه لدرجة أن "بغداد" ظنّته "على البركة"...

-الله يوفّقك.. الله يعطيك حتى يرضيك.. لقد أنقذت روحين؛ توتة  
وأنا.. أعطني يدك أبوسها.. جميلك على رأسي من فوق.. الله  
يحميك...  
لقد حماني...

"نحن موجودون في هذا المكان وهذه الساعة لغاية ما.. مهما  
فشلنا، ومهما كان لنا من قدرنا صفعاتٌ وخيبات.. فما خلّقنا  
من أجله قائمٌ ولن يكون بسيطاً مهما اعتقدناه كذلك.. اليوم هو  
يوم ميلادي الذي اخترته: كل عام وأنا بخير".

كتب عمّار هذي الرسالة لـ "هبة" من فوق الجسر الأبيض..  
فيما سمح لعينيه أخيراً بالبكاء...

\*\*\*\*\*

في ذات الزمان وغير المكان..

كانت هبة تكتب اسم عمار على ورقة بيضاء.. تكتبه وتضع  
الشدة عليه، ثم تصنع منها اسم هبة..

هي تعلم أنها قد وقفت من جديد.. تشبه شجرة رمت بذورها  
قبل حرقها أرضاً.. مات فيها شيء بينما ملأت المكان شجيرات  
كثيرة.. نسخّ شابة من قوتها وعطائها.. منحتها بدل الصوت  
أصواتاً.. وبدل الحياة حيوات..

هبة العراقية التي دمرها المعتقل يوماً - تحت اسم إهانة الدين  
والدولة.. تقف اليوم عنيدة كالشمس.. تملأ مقالاتها المواقع  
العربية وصفحات التواصل الاجتماعي..

وتهرب من الملاحقة بتغيير عنوانها كل ثلاثة أشهر.. عمار  
يعرف كيف يجدها.. وهي أصبحت تراه.. لا بل تحسّ بحضور  
اهتمامه..

"ما بينهما ليس حباً.. هو أكبر من الحب بدرجة.. " هذا ما قاله  
لها وما زالت تفكر فيه.. يدهشها وهي الغريبة الأطوار الآ  
ترفض هذا الرجل.. ويدهشها أكثر أن تلجأ إليه..

وفي كل يوم تتأكد أن أكثر شخص أعطاك هو من وهبك القدرة  
على الاستمرار...

\*\*\*\*\*

ما أبشع اغتيال الضحكات؟  
ما أقسى أن ترى السهم اخترق روحك، فتقبها، ثم دفن قطعة  
منها في مقبرة قلبك...

الحب هو العنصر الأساس المفقود في المراحل الأخيرة  
للمرض النفسي.. ما من مرض نفسي ينتهي جنوناً إلا إن فقد  
الشخص تماماً تعاريف الحب وتمائمه...  
ما من مريض يعنّد على العلاج وفي يده تعويذة حب من أم..  
أب.. قريب.. صديق.. أي قلب مزهر...

في قلب كل منا قبور لأحلام.. ذكريات حب.. آلام مشينا فوقها  
وأخرى اغتالت ضحكاتنا في لحظات كثيرة...

إن قررت أن تستسلم وتبني فوق القبور أحجاراً.. فتجاهل  
حدوثها وتستمر في حياتك محاولاً حراسة مقبرتك، فلا يدخلها  
أحد ولا يضيء أيّ ذكرياتها، فأنت تشبّثُ إمكانيتك على اللحم  
من جديد.. وسيأكلك المرض النفسي.



أما إن أنت منحت الطب النفسي مفتاحًا إلى حياتك، فسيكبر  
الحب فوق قبور في قلبك.. شجرة تضم الروح.. فتحلم من  
جديد..

ما من مرض نفسي يأكلك إلا إن قبلت أنت بدور حارس  
المقبرة...

كتبتُ ونمت...

\*\*\*\*\*

دخل ديار وعبير العراق في ذات اليوم الذي دخله السوري..  
الصدف التي نسمع عنها في الأساطير حقيقة كبيرة...  
الأرواح المتشابهة تتلاقى يوماً ما...

في المطار قالوا لهم:  
الرجاء من جميع السوريين الانتظار هنا.. الإجراءات في ختم  
جوازاتكم مختلفة قليلاً.. نعتذر...  
لم يكن أحد يحمل الجواز السوري في تلك المجموعة سوى  
عليّ وعبير.

جلسوا معاً.. فيما ذهب ديار لختم جوازه...  
سمعت عبير عليّ يحدث الأطفال الثلاثة عن سبب هذه  
الإجراءات، ثم طلب منهم أن يناموا إلى حين ينتهي الانتظار...

ابتسمت عبير:  
-ذكرتني بأمي.. دائماً كانت تقول اذهبي إلى النوم عندما تكون  
محتارة في شيء ما...  
ضحك علي:

-تشرفت بك وبأمك، أنا علي.. ما اسمك؟

-عبير..

-اسم سوري بامتياز.. هل تسكنين في العراق الآن؟

-كنت أسكن في لبنان.. أدخل للعمل هنا...

-تشرفنا.. في أي مدينة..

-بغداد...

-أنا أيضاً ذاهب وأطفالي إلى بغداد.. أصدقائي هناك...

-إن أردت نأخذ سيارة كبيرة واحدة؟

-يا ليت، هي مرتي الأولى في العراق...

-وأنا التي اعتقدت أن نعتمد عليك.. ما علينا، نحاول الوصول

معاً...

في تلك الأثناء رجع ديار.. وبدأ الجميع في نقاشٍ عَطِشٍ  
للأصدقاء.



١٣ - نبيعُ الأمل...

بين الأنظمة ومعارضاتها ضاقت البلدان وضعنا نحن على  
أبواب السفارات وفي مجاعات العمل.  
يخرج من ينادي بلمّ جرح كبير قسم البلاد نصفين بلا خياطة؟  
كلّ يقول لست الفاعل.. فيما نتسرب غرباء من الجرح.. كرات  
دم مرنة غير مرئية...  
تدخل الجراثيم الملتحية سوداء الراية والصيت..  
يكبر الجرح..  
يعمرُ الفقرَ قبحًا.. والكرهَ خدرًا...

ثم تقول لي لماذا لن يقف الوطن؟  
لأنه بعد أولاده فقير الدم، ولأن الجراثيم وصلت إلى العظم..  
تنذر بشلل دائم...  
وتسأل: لماذا تحقدين على المعارضة وتلعنين الملوك؟  
لأنني كرية دم حمراء مرنة تعيش في مكان أخضر!  
\*\*\*\*\*

ما أكثر عيد تحبينه في أميركا؟  
- عيد الشكر...

ما قصته؟

-عيد الشكر من أجمل الأعياد على الإطلاق..  
يجتمع الناس في كل الولايات المتحدة ليشكروا الله على نعمه  
الكثيرة...

بدأ الاحتفال بعيد الشكر Thanksgiving في القرن الماضي  
(الخميس الذي يأتي قبل السبت الأخير من شهر نوفمبر من كل  
عام)، لكن قصته تعود إلى عام ١٦٢٠..

عندما كانت أمريكا تستقبل المهاجرين من العالم.. وصل  
مواطنون إنكليزيون إلى ولاية "ماساتشوستس" .. مكان  
جديد.. حاولوا الزراعة، وبسبب قلة خبرتهم وتعيبهم من  
الرحلة الطويلة غلبهم الموت بأغلبهم..

بعد شهر من الموت المجاني.. تدخل "الهنود الحمر"  
وعلموهم الصيد والزراعة.. وكما هي طبيعة الإنسان النقية،  
وبما أنه من روح الله.. قدر الإنكليز كثيرًا ما حدث.. وفي أول  
موسم حصاد أقاموا احتفالًا على شرف الهنود، شكر الجميع  
فيه الله على: "بعضنا.. صحتنا.. كفاف يومنا.. أمننا  
وضعفنا..."

-هذا جميل.. أستغرب كيف لم يصل بقوة إلى اليوم إلى بلاد  
العرب.. نحن استوردنا كثيرًا من الأعياد...  
-بعض العائلات تحتفل فيه يا أحلام.. عائلتي اعتادت أن تحتفل  
فيه...

-ربما لأنكم سافرتم كثيرًا.. الشكر الذي أعرفه:

هو أن تشكر الحكومات العربية عقولها باعتقالهم بسبب  
اقترافهم أنسنة الاختلاف...  
أو أن تشكر الأنظمة المستبدة شبابها الذين بقوا في الأوطان  
بقتلهم بسبب مطالبتهم بحق التعليم الكريم، الكرامة  
والاستقرار في الأوطان...  
-أحلام الثائرة، أنت الآن هنا وفي ظل القانون.. وهناك أمل  
جديد بعد أن بانث بشائر ثورة العراق...  
-هل تعتقدون أنهم سيفعلونها؟  
-حتمًا...  
-أوصليني بالصفحات (الفيسبوكية) التي دعت للثورة في  
العراق، أريد أن أشرب من نفس الأمل...  
-على عيني يا أحلام...  
\*\*\*\*\*

-حتى لو كان ما سأحصل عليه من ضناء جهدي (فحمة) فأنا  
لن أتوقف.. التوقف عن الحفر في هذه الحياة يعني التسليم  
للموت...  
-هل ما زلتِ تفكرين في دار النشر للأطفال؟  
-أجل، ما رأيك..  
-أردت أن أقول لك أن رياض أطفال لليتامى وذوي الاحتياجات  
الخاصة أفضل...  
-فكرة جيدة.. لكن تحتاج الكثير من المال...

- لا نعتمد على التبرعات.. المهم الحصول على تراخيص.. وهذا ربما يحدث إن ساعدتنا نجمة بحكم عملها الحالي في وزارة التربية...
- أخبرها.. أستطيع أن أكتب وأنشر أيضاً على (الفيس بوك).. أصبح في كل بيت ولست أكتب بغرض الشهرة...
- الشهرة مهمة.. وإلا كيف ستصل كتاباتك لأكثر عدد ممكن من الأطفال...
- المرجعيات هنا -وبسبب الوشائيات الكاذبة- وضعت اسمي على لوائح المغضوب عليهم والكفرة...
- اعتذري لهم...
- عن ماذا عمار؟ أنا لم أفعل شيئاً خاطئاً.. بل على العكس، أنا ضحية من ضحايا النظام.. ولم تفعل المرجعيات أي شيء لمساعدتي..
- لا مكان للمرجعيات الدينية في هذا الزمن.. عليهم أن يحاربوا الفقر، الظلم والتفرقة قبل أن يتبجحوا ويدلونا على طرق الإيمان...

-هبة، أنا أفهم ما تقصدين وأفهم أنك لست ضدهم، بل ضد تأليهم وهم بشر يخطئون مثلنا.. أفهم أنك تريدين أن يحكمنا قانون عادل يطبق على الجميع ويساوي بين الجميع.. لكن تعابيرك حادة، وقد تُفهمين بطريقة خاطئة مجدداً...



-لا يهمني.. أنت تعتقد الحل من خلالهم.. وأنا أرى الحل عبر العلم والعقل...

-أفهم أنك تريد أن يستلم أهل العلم زمام الأمور كل في مجاله.. الطبيب في الطب.. المعلم في المدرسة.. المهندس في البناء، والشيخ في الجامع ودور العبادة... لكن البسطاء يحتاجون إلى من يمثلهم تحت إطار ديني...

-وأنا لست ضد هذا.. لكن ضد أن يتم الطلب من الصحفي أن يصبح متزلفاً.. وعضواً عن واجب الصحافة في تسليط الضوء على الأخطاء كلها.. تصبح للصحافة خطوط حمراء تحت تأويلات- غير صحيحة- لرجال الدين... لا يجب أن يكون مكان المرجعيات الدينية مع الأنظمة.. السماح بنفوذ الأحزاب الدينية وتدخلها في مدنية الدولة، وفي قرارات الأفراد خاطئ... لا يجب أن يرسموا الخطوط الحمراء، بل على العكس.. يجب عليهم أن يشجعوا التوحيد بالله والاحتكام إلى العقل والعلم. الله أولاً، والعقل ثانياً وثالثاً...

-أخاف عليك يا هبة.. أفهم إيمانك، وحبك لله.. لكن أخاف عليك ممن يفهم نصف كلام.. ويحلل نصف حديث.. قلت لك العراق إلى ثورة.. انظري الآن كيف نبدأ بالمظاهرات.. نساءً ورجالاً.. تحت علم واحد للعراق.. وانتظري أن نتصر...

-ربما نحن نريد وطنًا لا نخاف فيه من دفع ثمن الاختلاف..  
لكني أخاف من ثورات تحتكم في جزء منها لسلطة الذكور  
وعصا التاريخ..

لا أقصد إحباطك.. لكني ومع كلّ وجعي أخاف من الثورة..  
وأخاف على شبابنا.. ثقافة الموت التي تعلمناها خاطئة.. يجب  
أن نخترع طريقة تمجد فنّ الحياة.. هذا لن يحدث إلا بفصل  
الدين عن الدولة...

أراد عمّار أن يحتضن هبة.. تردد، ثم اقترب بخجل.. وضع  
ذراعه على كتفها، فوضعت يدها عليه...  
وأنا أيضًا.. قالت...

ومع ضمة كبيرة:

-أحبك هبة..

\*\*\*\*\*

في نظرتها الأخيرة إلى تدمر- ومع القيود حول معصمها -  
قالت لغة جسد "زنوبيا" ما لم تقله أساطير روما وعجائب  
التاريخ...

وقفت "زنوبيا" .. شامخة.. سافرة.. مستهزئة بمن يعتبر  
المرأة سلعة تستوجب التغطية أو التعري...

نسي الجميع شكل أورليان الذي اعتقل زنوبيا، ونسيت الغالبية اسمه، بينما بقي مجد حكم النساء نابضاً في آثار تدمر وبقيت لغة الجسد الواثق غير المُسلَّع في لوحات المبدعين...

علمتُ المقيمين الذين أدرسهم في الطب النفسي فنَّ لغة الجسد من الأفلام والوصف في الروايات العالمية...  
لغة الجسد تخبرك عن كل ما أردت معرفته حول شخص ما..  
في لغة الجسد يفضح الحب كاتمه، ويفشي الكره معنى العدو...  
صرت معروفة بالطبيبة التي تسمع صوت صمتك.. وما زال الطب النفسي رسالتي الأزليّة...

حاولت نشر ثقافة محاربة الوصمة في بلاد العرب.. بعد اكتشاف الدوبامين، السيروتونين، النورأدرينالين، وغيرها من النواقل الكيميائية.. كيف لعاقل أن يعتقد بالجنون، المسّ والسحر الذي يتبعه البسطاء والجهلاء عن قلة علم، وموروث جاهل.

لكل منا مرضه الخاص سيصله عاجلاً أم آجلاً..  
قد يكون: ارتفاع ضغط.. سرطان.. ثنائي قطب.. اكتئاب..  
سكري.. بهاق.. صدف..

بعض الأمراض الجلديّة تشبه الأمراض النفسيّة.. وكلها تشبه الصبر.. لا يمكن أبداً أن تنتقل بالعدوى.. البهاق.. الصدف..

الفقاع.. العد الشائع (حب الشباب).. ارتفاع الضغط..  
السرطان.. السكري.. الاكتئاب.. ثنائي القطب.. الفصام..  
القلق...

كلها أمراض غير معدية.. فلنتعلم أن ننظر في العينين.. ونفهم  
الابتسامة.. قبل الحكم على الناس.

في الطب النفسي نبيع الأمل.. لذلك عليك كطبيب أن تكون  
محترف تفاؤل.. وأكثر من هذا فنائاً في غزل وصنع الأمل..  
وإلا فإنّ فاقد الشيء لا يعطيه.. وعمك سيذهب هباءً...

عملي المتواضع يشبه طائر الطنان، لم أرد يوماً لأعمالي أن  
تفترس غيرها كي تكبر كالنسور، ولا أن تتحزب لتكسب المجد  
كالقطعان!

دائماً أردتها أن تشبه "الطنان"، أجل ذلك الطائر الصغير...  
طائر الطنان الصغير في الحجم - غير الملاحظ من قبل  
الكثيرين.. هو أكثر الطيور حكمةً وقدرةً على التحكم بطيرانه:  
يطير للأمام، للخلف إن احتاج.. يطير بشكل شاقولي أيضاً لكنه  
يعلم أن القمم ليست سوى محطات...

دماغ الطنان يعمل بأصل وتذكر دوماً المعروف، فيمكنه من  
تذكر كل زهرة زارها.. الامتتان جوهر النبلاء.. الامتتان للعباد،  
والحمد والشكر لله على كل شيء.

هكذا بعد أن علقت لوحة زنوبيا.. أصبح بيتي الجديد جاهزاً  
لدخوله...

يبدو أكبر بكثير من حجمه الحقيقي.. وإن وضعت فيه ما أمك  
من أثاث سيكون مناسباً تماماً...

لا أريد التفكير في السوري.. إنسانيتي تدعم ما فعله.. بينما  
بشريتي تسألني كل يوم:

لماذا باعك.. وكيف استبدل بمستقبل متخيل معك ثلاثة أطفال..  
فصرت أنت العانس التي تنتظر من قد لا يعود أبداً!

تذكرت أنني تعودت الخسائر في الحروب القلبيّة.. أنا سيدة  
القلوب الفاشلة.. لا أفضل مني في جذب النهايات الحزينة..  
على حائط آخر في المنزل لوحة بخط عربي جميل:  
"أنت كما تحلم أن تكون"...

جملتي الذهبية.. واللوحة أهداها لي كمال -متخيل حبي القديم-  
في عصرنا الذهبي...

تذكرت كمال، وتعنيفه لي بشرع الذكورة:  
-أنت مثالية أكثر من اللازم.. قويّة ومتمردة.. تحتاجين إلى  
رجلٍ لترويضك...

هذا ما قاله يوم عارضتُ رأيه السياسي.. وكان آخر ما سمحت  
له أن يقوله...

احترامي لنفسي سيد المواقف كلّها.. ولن أسمح لأي ذكر  
بقتص ذلك...  
أنا كما أحلم أن أكون.. وهو متزوج بأس في زواجه كما في  
عمله اليوم...

تنوّع ثقافات محتويات بيتي يجعله كمتحف بسيط لرحلاتي  
ومعتقداتي.. هنا في الزاوية لوحة كبيرة لبجعات بيض..  
اشتريتها لأنها ذكرتني بالبجعات البريآت ولعنّتهم التي ما زلت  
أحاول فكها...  
كيف لي أن أزيل اللعنة عن شعب حاقد بأكمله؟ الحقائق الكاملة  
أدمت يدي.. كثيرون كفروني وخسرت الكثير من أشباه  
الأصدقاء...

مع تدهور الاقتصاد السوري.. وانتشار البطالة والفقري.. لا  
يزال الحقد هو السبب الرئيس لللعنة التي أصابت تلك الأرض..  
للأسف المتحزبون لا يلبسون ستر القراص، حتى لو كان في  
حقيقتها خلاصهم.

ما علينا يا عليا -قلت لنفسي- أول عشاء سيكون "فريكة"  
وأول المدعوين: أمنية.. نيل وأحلام...  
أما أول أغنية في البيت، فمع فيروز.. علي بدر الدين، الأخوين  
رحباني ومقام الحجاز:  
-أنا لا أرض ولا سكن.. أنا (أحلامي) هي سكني...

\*\*\*\*\*

صارت تظاهرات العراق اليوم حديث شعوب العالم..  
شباب وصبايا في عمر الزهور.. عملوا معاً في تنظيف  
الشوارع والأبنية القديمة...  
زرعوا الأزهار في الطرقات المقفرة.. كما الأمل في قلوب  
الملايين..

جمعهم العلم العراقي، ولم يسمحوا بأي دخول لأي علم آخر...  
رسموا لوحات رائعة على جدران قديمة، فمنحوها حيوات...  
نبذوا الطائفية.. وحملوا آمالهم في وطن.. أجل، كان شعارهم  
"نريد وطن".

أما عن وسيلة النقل الأفضل هناك، فكانت (تُك تُك).. وتسمى  
في العراق السُتُوتة وهي مركبة (دراجة نارية) بثلاث  
عجلات.. يجلس السائق في الأمام، وراكبان في الخلف، أو  
ثلاثة عند الضرورة.. يحلّ أزمة موصلات، وأزمات قلة  
الحال..

كان لسائقيه في ثورة العراق حكايات كثيرة في الشهامة،  
ومساعدة الغير..

ال تُك تُك العراقيّ أشبه كل ثورات العرب البسيطة الشجاعة..  
أشبه أملنا في حقنا ألا نغترب.. في حقنا أن نحيا بكرامة في  
أوطان لنا -غصبًا عن الظّمة-.

الوطن الذي يطارد الأفكار سجنٌ كبير.. الوطن الذي يحاصر  
التفكير محتلٌ مهما حاول البعض تجميل الصورة البشعة...  
لم يحاول الشباب العراقي تجميل الصورة، بل حاولوا رسم  
صورة جديدة عن وطن يلمنا جميعًا...

-.. نبحت عن بيت.. الآن نشارك غرفًا في بيت طلاب...  
بيت طلاب؟

-أجل، بيت كبير يؤجر صاحبه غرفه للطلاب.. استأجرت غرفة  
لي مع الأطفال.. استأجر ديار غرفة له وأخرى لعبير...  
-أما زالت عبير تساعدك؟

-جدًا.. تستطيعين القول إنها تبنت الأطفال..

تحرك فيّ شعور نسائي غبيّ بالغيرة..

-هل لديها وقت؟ قلت لي أنها تعمل ممرضة، أليس كذلك؟

-لا وقت لديها سوى لديار وللأطفال.. تطبخ كميات كبيرة،

لتقسمها معنا.. وديار يساعد في وضع الأطفال في المدرسة

صباحًا.. لقد كان له الفضل الأكبر مع صحفية هنا في التحاقهم

بالمدرسة بسرعة...

راجعت نفسي.. ثم قلت:

-أحسن عالم.. الله يوفقهم.. أتمنى أن أتعرف عليهم...

يا ليت.. تعالي زورينا...



متى ترجع؟  
-ليس قبل أن أعثر على أهل أُمِّي.. وأعرف كيف سأنقل  
الأطفال معي إلى أميركا...  
-أنت مواطن أمريكي سوري لا تستطيع إحضارهم؟  
-للأسف ليس الأمر بهذه السهولة.. وكذلك.. مصروفهم في  
أميركا أكبر مما توقعت...

أخبرني عليّ أن حمزة ساعده في إيجاد عمل مؤقت، مهندساً  
في إحدى الشركات.. وأنه تعرّف على صحفية تحاول فتح  
رياض أطفال ليتامى الحرب.. نفسها من ساعدت ديار في  
إدخال الأطفال إلى المدرسة..  
- جاءت إليّ فيما أحاول إخراج شهادات ميلاد للأطفال  
وأخبرتني عن مشروعها...  
قال إن اسمها هبة.. لا عنوان دائم لها الآن.. لا منزل ثابت  
لها.. لكنها تحضر إلى دائرة النفوس لتقابل الناس الذين  
يحاولون مساعدة الأطفال ضحايا الحروب...  
ستساعدني في الحصول على شهادات ميلاد.. الوضع هنا مثل  
سوريا تماماً...

غيرتي النسائية الغبية.. قلت في نفسي: هبة أيضاً.. ثم تكلم  
عقلي:

- الله يسعدها هذه الهبة.. العراق يشبه سوريا في كل شيء..  
ويشبه كل بلد عربي.. طيبة الناس.. محبة الغالبية لفعل  
الخير...

-حديث المرض، الفوضى، التزمت، المحسوبيات والهجرة..  
يلمّ سوريا مع العراق.. ومع جميع بلدان العرب..  
لكن الآن مع انتشار الحق المشروع في الثورة، وعدم الصمت  
عن الظلم، أصبح الأمل يحضن أحلامنا بتحطيم الأصنام  
والنهوض بأوطاننا...

بمناسبة الحديث عن الأمل: اشتقت لك يا عليا.. كثيرا...

ابتسمت وأنا أرى الجملة الأخيرة:  
وأنا أيضاً.. كتبتها.. ثم محوتها.. وكتبت:  
-اشتقت إليك أيها السوري..

يقال إن الناجين من الحروب يصابون بإحساس دامغ بالذنب أو  
بإحساس الناجي الذي يريد ردّ الجميل.. يقال أيضاً أن الغيرة  
تسكنهم ممن بقوا في الأوطان ولم يهجروا ذكرياتهم...  
أما فيض المشاعر تلك، فأجمل ما يمكن تخيله عن النفس  
البشرية...

لهذا نجد في أدب الاغتراب من الشجاعة والجمال ما ليس في  
أدب آخر...

في ذلك اليوم كتبتُ:

فكرة ثورة الشباب العراقي أحييت فيّ أملاً كبيراً بقدرة شبابنا  
على التغيير في يوم ما.. بقدرتهم على إعادة الأوطان  
المسروقة من قبل تجار الدين، ملوك الكراسي وقواد  
السياسة...

ما زالت النبوءة أزلية بكون عودة العراق إلى عقوله مقدمة  
لعودة بلداننا جميعاً...

ما زال قلبي بلا حدود.. عقلي بلا أطر.. روعي بلا أغلال حقد..  
أحلامي لا تعرف اليأس.. أهدافي ضد الكراهية...  
تابعتُ عملي في حديقة منزلي الجديد.. في الزاوية اليسرى  
هناك وضعتُ مجسماً لطائر طنان بألوان: أخضر، أبيض،  
أحمر، وأسود...

زرعت الغاردينيا والياسمين في ممرات الحديقة العشبية..

وفي الزاوية اليمنى من الحديقة وضعت أرجوحة صغيرة  
لتلمني عندما يملأ البكاء المكان..

ما زال الحب سيدي ومولاي بعد الله...



٤١ - "لا تحزن إنَّ الله معنا"

جيل التسعينيات.. جيل الأمل والثورات..  
جيل العولمة.. الإنترنت..  
والجرائد الشخصية (الفيديوكية)...

جيل (من أين لك هذا).. بدلاً من (الدهلزة)..  
جيل الحب منتصراً على قلقة الطوائف وسرادق القوميات...

جيل التسعينيات..  
الشجاعة بعد أجيال الجبن..  
أجيال النكسات.. النكبات والخيبات...

جيل صخور تسند أحلامنا..  
بعد أن باعنا أجيال الأحزاب.. الشعارات وواد البنات...

جيل التسعينيات أملنا..  
وكابوس أنظمة التطبيع والمعتقات...

كان مقال هبة يملأ المواقع الإلكترونية:  
أحبك بغداد...

يشكر الملوك فئران السلاطين بمزيد من الحرية في قرض كتب  
الأدباء والنط فوق جبن البسطاء...  
أشكر الله على نعمة قطف العقل.. التي زودها الله بسبعة  
أرواح.. لن تتوقف عن التفكير حتى آخر فأر يحميكم...  
الحمد لله من قبل ومن بعد.. "لا تحزن إن الله معنا".  
\*\*\*\*\*

لم يكن عمار يعرف أن نبوءته حول ثورة العراق ستصبح  
حقيقة، وأن الظلم والذل.. الفقر والمحسوبيات سيصيبون  
الحكومة بلعنة لا تبقي ولا تذر...  
ملاً الشباب العراقي الشوارع.. دون انتماءات طائفية.. بلا  
تصنيفات عرقية.. تحت علم واحد وهو العلم العراقي...

في عصر العولمة كيف يمكن لحكومة أن تسرق شعبها؟ كيف  
يمكن لمسؤول أن يتباهى بأمواله وهي لا مصدر لها إلا جيوب  
البسطاء...

عدّ عمّار في كلّ مساء أحلامه كنجوم في سماء ثورة التحرير..  
العراق منتفض والله معه..

-الله مع الحق لا التطييف.. لا التحزب، لا تفضيل قوم على قوم..

-أخاف يا عمار ألا يعجب هذا الحال الحكومة.. فتصر على قلب الحقائق.. وتصدر كمية من (البلطجيّة) بأقنعة ثورة..

-لا تخافي، لا شعب يقرأ مثل هذا الشعب.. لا مكان للطائفية هنا...

-هذا بلد نفط.. من يطمعون به يتمنون الحرب الأهلية.. الحرب الأهلية في دول العرب هي مفتاح باب الأمان لاقتصاد الغرب..

يفتح أيضاً أمل دولة "من الفرات إلى النيل"...

-لا تخافي.. العراقيون أوعى الشعوب العربيّة، لكثرة ما مرّ عليهم من مؤامرات...

-هناك من يكره الثورة.. هناك من يريد العيش ولا ألومهم...

- أشد الناس كرهاً للثورات.. هم من يريدون من أعماقهم المشاركة فيها.. لكن يحكمهم الخوف.. كما حدث في سوريا

قبل أن يسرق التأسلم أي شعلة لثورة.. وقبل أن تستبيح الطائفية أي أمل في مستقبل للجميع...

هنا ينتفض الشباب تحت علم واحد.. وما أدراك ما يحدث عندما ينتفض الشباب بمساندة السماء.. حتى لو تأخر التغيير

فهو قادم حتماً!



-لا تعليق على البدايات الجميلة يا عمّار، فكل البدايات جميلة..  
النبوءة السيئة تلفّ أيّ نصر من غير عدل.. وأية ثورة يظنّ  
داعميها أنهم يدافعون عن الدين...  
الدين يدافع عن البشر بمساعدة القانون، وليس العكس..  
لذلك فإنّ الثورة التي لا تفصل الدين عن السياسة، فلا تتأطر  
بصراعات التاريخ تخيفني جدًّا...  
-الشباب العراقي واع وناضج في أغلبه...  
-عذرًا عمار.. النبوءة السيئة تخبر عن خراب قادم.. مشاركته  
حزينة.. والتحدث فيه يشبه عمل ألجوم.. حكيم لكن تعيس..  
خائفة أنا...  
-أما أنا فمتفائل وسعيد.. ليس ما قبل ثورة العراق كما بعدها.

\*\*\*\*\*

الرهان في هذا الزمن على إرادتك وحسب..  
قابليتك للعمل.. إصرارك على الحلم.. تحديك للظروف...

الخاسر الوحيد هو غير المؤمن بعقله وقدراته..  
بروحه التي نفخها "الله"..  
بأحلامه التي ترعاها القدرة العظيمة في السماء..  
عدا ذلك نحن حكايات صغيرة، ستنتهي في يوم عادي جدًّا...

كتبْتُ ذلك، على صفحتي الفيسبوكية.. قبل أن تصل رسالة السوريِّ لتطمئنني عنه وعن أطفاله...

قال مازحًا: نحن بخير.. الظاهر أنّي كلّما دخلتُ مكانًا ثار...

-الثورة العراقية نتيجة حتمية لما حدث في ذلك البلد الجميل طوال العقدين السابقين.. من حقهم أن يعيشوا بكرامة.. أنبل وأشجع الشباب لا يجدون عملاً.. أطفال كثير بلا أقلّ شروط للكرامة في الحصول على حقهم بالدراسة.. نساء تحت سوط التزمت، أدباء وكتاب يتم وصمهم بالكفرة لعدم قبولهم الإشراف بالله.. وتأليه أصحاب التيجان والعمائم.. ما علينا.. هل وجدت بيتًا؟

-معك حق.. الشعب ليس غيبًا.. والعولمة ليست في صالح الأنظمة ولا بطاناتها.. لن أغير سكني الآن.. هل تفكر في العودة؟ -إلى أميركا؟ -أجل.. لديك من ينتظرك هنا..

-حاولت.. نقل الأطفال ليس بالسهل.. وأحتاج إلى محام ليساعدني.. بعد قيام الثورة هنا.. كثير من دوائر الدولة معطلة...

-كيف حال ياسمين، عمر ورقّة؟

-ملائكة.. ياسمين ترى الكثير من الكوابيس في الليل، لذلك  
عبير تأخذها ليلاً وتتوّمها في حضنها...  
نبيلة هذه العبير...

-جداً.. مع أن ياسمين حكّت لها كلّ حكايتها.. لم تخبرني-أو  
حتى تلمح لي- أنها تعرف أنهم ليسوا أطفالاً.. سيكون من  
الصعب على ياسمين تركها...  
كيف حال ديار؟

-بخير.. يعمل مدرس لغة عربية.. والآن مع إغلاق المدارس  
يعمل طباًحاً للشباب في التحرير...

كنتُ وعلّي نتحدث-كما العادة- عبر نافذة المحادثة في  
الفيسبوك...

لكني كنت أسمع صوت همه.. عليّ مهموم يفكر في قراره  
بتبني الأطفال.. وعنده من عقد الذنب ما يكفي لقتل آمال  
كثيرة...

كطبيبة نفسية تعودت ألاّ أستند لأيّ تحليل تشخيصي في  
علاقاتي الشخصية.. ومع كون المهنة تطبعك غالباً.. إلا أنني لا  
أزال جيدة في فنّ التغابي...  
سنتحسن الأحوال، لا تقلق...

- أتمنى.. الدول العربية تتوحد في سوء الطالع.. لن يتغير ذلك  
حتى نخرج من محدودية الموروث إلى فضاء الله...

انقطع الاتصال.. حتى نعمة قول "مع السلامة".. أو "أحبك"  
ككلمة وداع.. لا نحصل عليها في جيل العولمة النفطي هذا...

أتابع زرع الزهور في حديقة منزلي، وأتخيّل لو أنني أزرعها  
في شوارع بغداد أو دمشق.. ما كان سيحصل في هذا العالم لو  
احتفظنا بحقنا في الوطن؟

\*\*\*\*\*

- أنت لا تحبني..
- بل أحبك هبة...
- إن كنت تحبني.. فلماذا تتظاهر؟ عقلي يخبرني أننا لن نحصل  
سوى على الذل والموت...
- لا أصدق أنك تقولين هذا...
- بل صدّق، أنا أعرف معنى السجن والذل، وفوقها أعرف  
معنى البلاد المحكومة من قبل مجموعات دينية الظاهر  
سياسية الباطن...
- المرجعيات والأحزاب معنا وتحمينا...
- هذا غريب يا عمار.. غريب.. هذا عكس ما يقوله المنطق  
والعقل.. كيف يمكن لنا أن نثور تحت شرط الولاء لأيّ كان خلا  
الله.. كيف نعطي حقنا في التفكير لأيّ كان عدا العقل؟
- كيف لا يكون مطلبنا الأول قانوناً علمانياً كقوانين الدول التي  
يسعى شبابنا ليل نهار للهجرة إليها.. لماذا لا نصبح كالغرب

في احترام الإنسان؟ في مقدرتنا أن نكون أغنى منهم سياحةً  
ونفطاً...

-هبة.. أنا أو من تماماً بطيبة أصحاب الدين، وبنقاء أخلاق  
المرجعيات.. العراق إلى الأجل معهم...  
-لست هنا لأتدخل بقناعاتك، لكن كيف لي أن أقتنع أن ما حدث  
في العراق لسنوات طويلة كان من دون علمهم، لماذا صمتوا  
طوال ذلك الوقت...

-لم يصمتوا، لكن النظام فاسد...  
-أي نظام في العالم فاسد إن لم يوجد قانون يحكمه، مفصول  
عن الدين، مستقل عن مصالح دولٍ أخرى، وبعيد عن ملكوت  
الطوائف...

قانون يطبق على الجميع دون استثناء.. الثورة في بلاد العرب  
يجب أن تبدأ من تحرير العقول ومن الموروث الديني أولاً،  
وإلا لا ينتظرنا سوى مزيد من الدم...  
-لو لم أعرف إيمانك بالله لقلت إنك تدعين إلى الكفر...  
-ولو لم أعلم أنك مأخوذ الآن بأمل الثورة.. لقلت إنني لم  
أعرفك.. الثورة في حاجة إلى المطالبة بقانون عادل قبل كل  
شيء...

أدار عمّار ظهره إلى هبة وفتح الباب...  
ستكون العراق بخير لا تقلقي...

\*\*\*\*\*

في صباح بارد، لكن مشمس.. طرقت أمنيّة بابي..  
بدت في أجمل حالاتها، عيناها تحكيان قصة نصر...  
حصلت على الطلاق.. وأعود قريبًا إلى السعودية..

كنتُ على علم بخيانات عقله المتكررة، وبسوء معاملته لهذه  
الملكة.. فاحتضنتها:

مبروك يا (خيت).. الله يسعدك ويكون معك.. أنت تستحقين  
الأفضل في كل شيء...

لولا وجودك يا عليا.. لكنت أنهيت حياتي، ربما.. الله أرسلك  
أختًا وصديقة في وقت كنت فيه وحيدة إلى العظم...

هددته بفضح علاقته المشينة مع زوجة رئيسه في العمل..  
أتخيل أنه يحبها.. تخيلي عقله يعرف أن يحب.. ما علينا، هذا  
الحب كان في صالحه بعد سنوات من الذلّ...

يجب أن نحتفل.. تعالي اسكني هنا...

- أستطيع المجيء حتى تنتهي معاملة الطلاق، سأرفع دعوى  
للحصول على نصف أملاكه.. ليس حبًا في المال، بل هو حقي  
وتمن خدمتي له.. بالأحرى ثمن عمري الضائع معه...

- لا أخاف عليك يا أمنيّة...

- اتصلي بنيل وأحلام.. أدعوكم إلى العشاء أينما تريدون...

- "تكرم عينك..."

نحتفل بالطلاق!  
نعم، إن كان الزواج ذلًّا.. إن تصير الزوج عدوًّا.. وإن أصبح  
الكذب ملحًا...

١٥ - بَغْدَدَةُ.. سَلَامُ الْقُرَّاصِ...



لم يرد العراقيون سوى الطمأنينة..  
وكان في حبهم لبعضهم من الله آية...

أحبوا الدين.. فحاربهم ملوك الطوائف..  
لا جديد.. كتابنا كتاب استعارة وكناية...

أرادوا وطن.. فقتلهم مدّعوا حب الوطن..  
قالوا عن أملهم كذبة.. وهم.. جنحة وجناية...

من العرب من لا يبالي بهم.. بانتظار ستار مسرح ونهاية...  
لم يعلموا بعد أن في ثورة العراق خلاصهم أيضاً..

وأن العراق -كما كان دوماً- أول النجاة..  
وأرض الخلاص والبداية..

لا خوف على شعب يقرأ.. ممن يظنون أنفسهم حماة دين..

في شرع الله، لا نعبد الأصنام ولا نقترف (السبّاية)

بعد عدة أسابيع من التظاهر السلمي في العراق.. وفي ليلة  
دامية.. دخل ما أسمته الأنظمة- الطرف الثالث.. وقتل  
المتظاهرين العزل..  
احترقت قلوب الأمهات على أولادهم.. ووصل بكاء الأحبة إلى  
عنان السماء..  
بعض الناس عرفوا بوفاة أولادهم وأحبابهم من خلال صور في  
الفضاء الافتراضي.. صار الموت مرة جديدة مجانياً في بلاد  
العرب...

كان عمار يحاول سحب أحد الجرحى، عندما طغنته تلك  
السكين في منتصف ظهره...  
تذكر الجسر الأبيض.. وتذكر أنه نسي منذ بدء الثورة في  
العراق أن يفكر بالموت.. وها هو الموت ربما قد جاء لأنه  
نسيه..

آخر ما سمعه هو صوت عراقي شهيم يدافع عنه:  
-هذا سوري لا علاقة له بنا.. اقتلونا نحن.. نحن عراقيون...

فكر هل يعتقدون أنني سوري؟ أم يحاولون إنقاذي.. هل ما زالت لهجة عبير السورية تدمغ كلماتي أو أن عشرة سنوات في دمشق كانت كافية لتدمغي سورياً؟

ملاً دمه التراب حوله.. صورة عبير في أول نفق خياله:  
-أتعلم لم خُلقنا غرباء؟ لنكون بخير...

بينما هبة تناديه من آخر النفق:  
-ستكون بخير.. نحن معاً...

\*\*\*\*\*

سألني أحد الأصدقاء يوماً:  
-ذاهب إلى الكعبة.. ماذا تريدني أن أدعوك هناك؟  
-ادع لي أن يرزقني الله على قدر نيتي...  
بعد أن قرأ أحد كتبي، قال لي:  
- منحك الله موهبة الكتابة رزقاً على قدر نيتك.. روعة التعبير  
وشجاعة الحق...

وقلت في نفسي: ربما.. الكتابة هي رزقي في هذا الزمن.. هي من حممتي وتحميني من الاكتئاب.. الاستسلام والخوف.. لذلك لم ولن أستخدمها لتلميع تيجان ولا لغسل عمائم...  
كيف تستخدم رزق الله في عبادة الأصنام؟

أكتب كل يوم في بيتي الصغير.. لا بيوت لمن تشبهني من  
النساء في العراق وسوريا..

أما بيتي هنا لا ينقصه إلا الأحبة...  
ليس فيه من ضحكات أقاربي، أحبتي وصديقاتي في سوريا إلا  
هلوسات سمعية يحزنني ويسرنني أنني لا أسمعها..  
بيتني هنا فيه كل وسائل الراحة، ووسيلة تعذيب واحدة تسمى  
الذكريات...

أحبتني سأراكم في العالم الآخر.. أحرقتُ جسور عودتي عندما  
عارضت أنظمة الاستبداد السياسي والديني.. وعارضت  
الساقط من معارضاتها أيضاً..  
دفعت ثمن استقلالي وحدةً ووجع ذكريات...  
الحب هو سيدي ومولاي بعد الله...  
\*\*\*\*\*

أيقظني صوت الهاتف المحمول.. وبدأت حديثي المسائي مع  
السوري، عليّ الآن في قلب الثورة العراقية.. والأحداث  
تصلني موثوقة وموثقة...

-ألا تأتي إلينا.. ثورة العراق ستضعنا على خارطة مجدداً...  
يا ليت لي من التفاؤل الذي تنير فيه أيامك يا عليّ...  
-ما يجعل الحياة ممكنة هو ذلك الاعتقاد الراسخ بأن الغد أفضل  
من اليوم.. نحن رهينة لا يطلق سراحها إلا الأمل...  
-سلتي مثقوبة.. يتسرب الأمل منها كل يوم...  
- اعتقيه.. لا يسكن الأمل السلال، بل الأزمنة.. الحل الوحيد في  
أن تحكمننا النساء.. فرصة الرجال انتهت ولم يفلحوا...

صمت قليلاً، ثم أضاف:

- أعرف أن المكان غير مناسب.. لكن الزمان مناسب جداً..  
ربما لا يهمك أن تعرفي.. لكن.. أمني يسكنك.. أنا أحبك.

ياه يا السوريّ! تأخرت دهرًا.. ونطقت على أرض العراق.. من  
قال لك إن المكان غير مناسب.. ليس كبغداد مكان طاهر  
للإفصاح عن الحب...

\*\*\*\*\*

-هم يقولون أنّ الدين هو الحلّ، كي لا نجرؤ على الاعتراض..  
هم يعلمون أن مقصلة التكفير بيدهم.. يحاكموننا متى أرادوا...  
لكننا مؤمنون بحق، ومن يخاف الله لا يخاف شيئاً.. من يخاف  
الله يقول الحق ويحطم الأصنام...

-يريدون نطف العراق.. لذلك يشعلون المكان، يريدوننا أن  
ننقسم طائفيًا.. وضمن الطائفة الواحدة.. لن يمرّوا...

أحاديث الشباب الذين أسعفوه كثيرة.. ووجهات نظرهم مختلفة  
يوحدها فقط حبّ العراق...  
لا أخاف على هذا البلد.. هكذا قال عمّار لنفسه وهو بين اليقظة  
وما يشبه النوم...

أسعفوه إلى إحدى الخيم الطبية.. مع تسعة جرحى آخرين، بعد  
عدة ساعات بدأ بالاستيقاظ.. يتذكر محادثاته مع هبة.. ربما  
كانت محقة عندما قالت له أنها تخاف الثورات المسيطر عليها  
بشكل أو بآخر من قبل الأحزاب الدينية...

-عمار.. الجرح بسيط.. عمار أعرفتني؟

آخر شخص تخيلت عبير أنها ستسعفه هو عمّار..  
نظر إليها بحنيّة.. وقالت عيناه: لو كنت أعرف أن جرحًا في  
ظهري سيجعلني أراك.. لدعوت الله أن تكمل الحياة طعنات  
ظهري.. حتى يصبح في الثورة أملٌ يتيم في أن أنهض  
مجددًا...

ثم غير من وضعيته ومدّ يده اليمنى:  
-كيف الحال يا حلوة؟  
صافحته..

-الحمد لله على السلامة...

-لا تقتلني الشدة يا عبير.. لا تستطيع أن تقتلني.. هل تعتقدين  
أنّ من أحياء الأمل بعودة الأوطان يموت؟ وإن مات لا يموت...  
عبير والتي فهمت تمامًا ما قصد هذا الثائر.. ابتسمت وهي ترد  
بكلام قرأته اليوم لصحفيّة عراقية شجاعة اسمها هبة:  
- الحمد لله من قبل ومن بعد.. “لا تحزن إنّ الله معنا” ...

\*\*\*\*\*

يجلس حزني كلّ مساء معي.. لأشرب شاي الماتشا الأخضر  
وأكتب من أجل القيامة.. قيامة العقل في أوطان تحتاجه.. أكتب  
أيضاً محكومةً بولائي لنسغ ذكرياتٍ أحبة.. غادرتهم ولم  
يغادروني...

أتخيّل أُمي تشرب قهوتها وهي تجلس بهدوء في أرجوحة هذا  
البيت:

برجك اليوم: لا تنهز.. القوس.. القوس: أكثر الأبراج  
مغامرة، صدقاً وصراحة.. خفياً...

أبي يصلح الأرضية:

- قلت لك الكعب العالي سينقر هذا الحجر.. وهو سيء لظهرك  
أيضاً...

أخي يجلس بجوار طائر الطنان.. يزيد من خضرة ألوانه.. ثم  
يعزف على الغيتار:  
"ليالي الشمال الحزينة"...

أتخيّل صديقاتي يتهامنن حول قصص الحب البريئة ونحن  
نعد فطوراً سورياً (فتّة):  
ما زلت تنتظرين علياً؟ إلى متى يا مخلصّة؟!  
-ابنتي تذكرني بك.. تحرك يديها مثلك تماماً عندما تتحدث...  
كل مرة أبكي فيها.. أتذكرك.. ماذا كان يحدث لو أنك هنا؟

عمتي تدخن في ممر الحديقة:  
لن أقلع عن التدخين.. لا تتصحيني دكتورة!

بنات عمتي الأخرى يصممن فستان عرس:  
تذكرين.. عندما علمتنا صغاراً أن نلعب "بيت بيوت"؟

ومن الشبابيك الكبيرة تطلّ رسومات عليّ وتملأ المكان...  
رسومات توحد الدم العلويّ.. السنّيّ.. الدرزيّ.. الشيعيّ..  
الكرديّ.. الأيزيديّ.. المسيحيّ.. اليهوديّ.. الأمازيغيّ.. وكل  
صفة أوجدها البشر وتحزبوا ضمنها..  
توحد حرمة دماء كل من عرّف الله وعرّف الحب...

- "لا يسكن الأمل الأمكنة، بل الأزمنة" ..



- "الحل الوحيد في أن تحكمننا النساء.. فرصة الرجال انتهت ولم يفلحوا"...

أنظرُ إلى السقف، فأرى السماء..  
بيتي هنا.. بلا سقف.. السماء سقفه وسقفي!  
بيتي بلا سقف لا تضايقه الجغرافيا.. لا يضنيه التاريخ..  
وتحميه جميع الأديان...

سلالمني من السماء وإليها، صُنِعَتْ من نبات القَرَاص.. سوري  
وعراقي.. مصري وسوداني.. جزائري ومغربي.. يماني  
وسعودي.. إماراتي وتونسي.. لبناني وأردني.. ومن دول  
أخرى من محيط الغاز إلى خليج البترول...

وتمتلئ السماء بمجموعات من (تُك تُك).. بشباب يصيح "نريد  
وطن" ..

صبايا يضمذن الجرحى.. أطفال يزرعون الورود.. أمهات  
يوزعن الطعام في خيام بلا وطن...

تصخب السماء ببكاء الثكالي.. تنتفض راعدةً مع تكبيرات  
داعش المنافقة ومن لفّ لفها.. وفي لحظات صمتٍ ما قبل  
العاصفة تزقزق بأصوات المغتربين: اشتقنا لكم..

تصبح السماء مرآة لثوراتٍ احتاجتها بلدان الأبدية الأولى..  
والحضارات الأولى.. بكاء.. واشتياق.. وداع أحبة.. وانهايار  
منظومات وأنظمة...

أين أنت يا الله؟ ساعدنا.. أنقذنا ممن يتكلمون باسمك.. وممن  
استغلوا وصنعوا من يتكلمون باسمك...

نظرت إلى طائر الطنان، وقد صار كله بلون واحد.. أزرق بلون  
السماء..

- "أملِي يسكنك.. أنا أحبك..."

غزلتُ السترة الأخيرة، ورميت بها فوق قصة بجعة أخرى..  
هكذا "نُذرتِ للشمس" ..

طالت سلايم القَرَاص في البيت ولمعَ اللهُ في السماء...

يتبع...

في الجزء الثالث من رواية عليّ السوري، بعنوان:  
" اسمها محمّد".

لمحة سريعة عن الكاتبة:

ولدت لى محمد في سوريا في ٢٤ / نوفمبر / ١٩٧٩ .  
قضت طفولتها بين عدة بلدان ورافق قدر التعرف على ثقافات  
مختلفة، حياتها كما كتاباتها.

تخرجت في كلية الطب البشري في سوريا عام ٢٠٠٤ .  
في عام ٢٠٠٩ حصلت على شهادة الدراسات العليا في  
اختصاص في الأمراض الجلدية والزهرية من جامعة دمشق.  
تزوجت في عام ٢٠٠٩ من طبيب زميل وصديق قديم  
وسافرت معه إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

بدأت الكتابة في الفضاء الافتراضي على موقع الحوار  
المتمدن في عام ٢٠٠٩ . تابعت بعدها الكتابة والنشر لكتبها  
عبر دور نشر مختلفة عربية وعالمية.

بالإضافة للمقالات الأسبوعية على الموقع الشخصي وعبر  
الحوار المتمدن.. للكاتبة سبعة كتب أخرى:  
ما بقي من البحر، جدائل الثالوث المحرم، قريب من الأرض،  
حجر الشمس، عليّ السوريّ -الحب بالأزرق-، تمانم الحياة –  
من ملكوت الطب النفسي، اسمها محمد.

بعد الاختصاص في طب الجلد، تخصصت في الولايات المتحدة الأمريكية في الطب الباطني التمهيدي، ثم في الطب النفسي، وتعمقت باختصاص رابع في الطب النفسي الجسدي، وحصلت على شهادة البورد الأمريكي في الأمراض النفسية والعصبية. تقيم الكاتبة حاليًا في سان دييغو/ أمريكا، وتعمل كطبيبة نفسية وأستاذ مساعد للطب النفسي في جامعة كاليفورنيا.

تُعرّف عن نفسها في موقعها قائلة:

"أعرّفك عني وأخاطبك كإنسان.. لا يهمني جنسك، دينك، لا يهمني لونك، جنسيتك، يهمني هل تستخدم عقلك أم لا، أينبض في قلبك صوت أحبابك عندما تدقّ مصلحتك الشخصية الباب؟! وهل في زحمة رفاقك

مكان ولو (قزم) لي ولكلماتي؟!

اسمي لمي لم اختره، ولا أحب الألقاب..

أؤمن إيمانًا مطلقًا بالحب وبإنسان.. أؤمن أيضًا بقدرتنا على المحاولة، وبشرف المحاولة.

أشبه البشر جميعًا، وإذا بحثت عما أختلف به عن الآخرين فسأختلف بأحلامي التي تهيم في مدينة معافاة الأرواح قبل الأجساد.

الطب مهنتي، والكتابة هي ملاذي، وطريقي في محاولاتي للمساهمة بغد أفضل...".



## المحتويات:

- ١- الحقيقة: قُرَّاص... ..
- ٢- مُتَيَّمٌ فِي بَغْدَاد... ..
- ٣- بيروت وإله الحرب... ..
- ٤- القاهرة وإبريق الحلوى... ..
- ٥- تونس وطن الله على الأرض... ..
- ٦- بين الأكراد والأيزيديين: ضاع الشرف العربي... ..
- ٧- ثلاث عيون وأنفان... ..
- ٨- غاردي دبي... ..
- ٩- إسرائيل والقضايا العالقة... ..
- ١٠- من المكان الذي ينظر منه الله... ..
- ١١- كيف يتنزّل القرآن على شعوب لا تفهم في الكناية؟
- ١٢- أرض الصُدْف: من المكان الذي تنتظر فيه الشياطين... ..
- ١٣- نبيع الأمل... ..
- ١٤- "لا تحزن إنّ الله معنا"
- ١٥- بَغْدَدَةُ.. سِلاَلِمُ الْقُرَّاصِ... ..